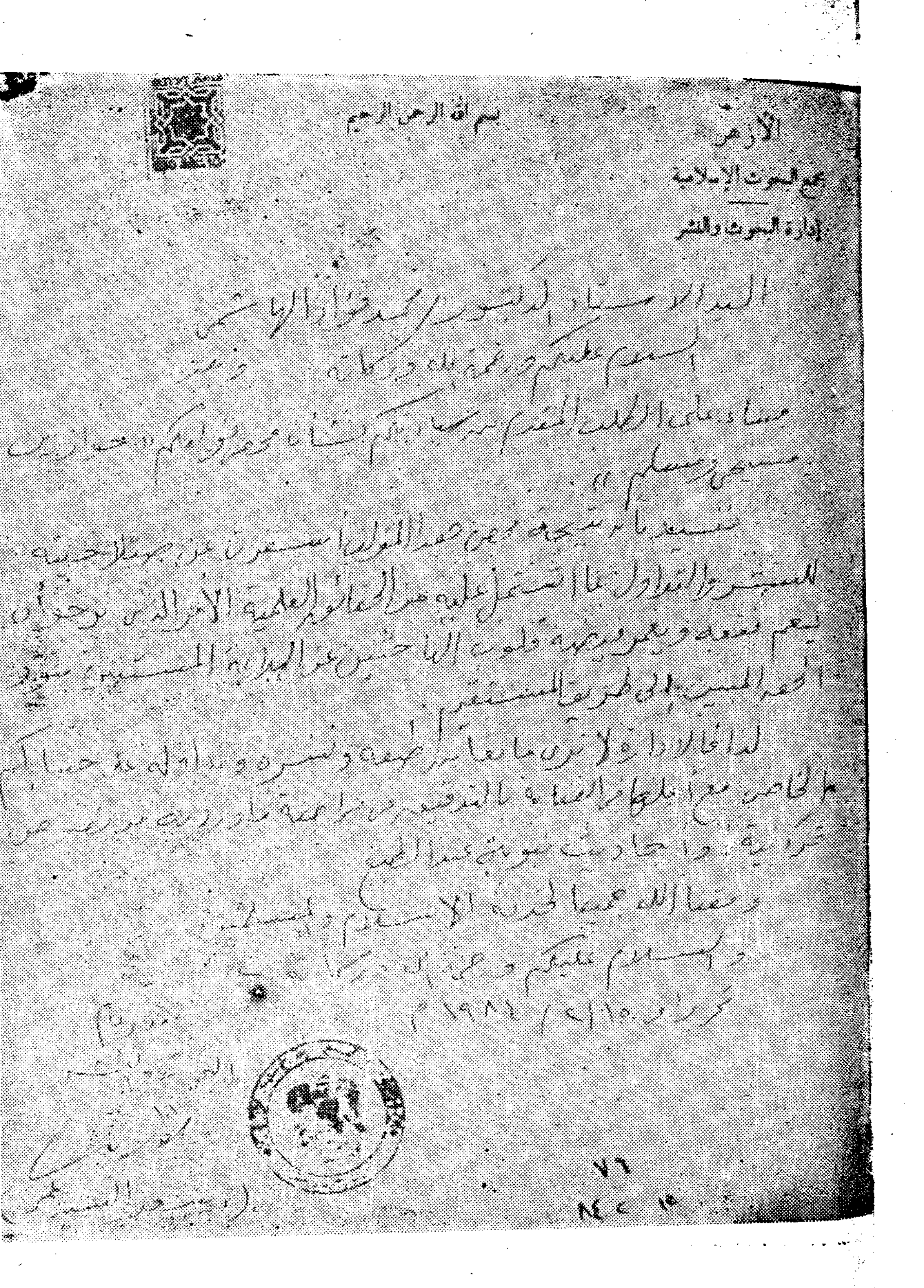

د. محمد فؤاد الهاشمي
دكتوراه في فلسفة الأديان
الأنبياء أخوة
وأمهاتهم شتى
ودينهم واحد
صدق رسول الله ﷺ
حوار
بين مسيحي ومسلم



الأزهر
مجمع البحوث الإسلامية
إدارة البحوث والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ الدكتور محمد فؤاد الهاشمي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

فبناء على الطلب المقدم من سيادتكم بشأن [illegible] «مسيحي يسلم»

نفيدكم بأنه تبين بعد فحص المؤلف أنه مستمد من [illegible] للتبشير والتداول لما اشتمل عليه من الحقائق العلمية الأمر الذي [illegible] الباحثين عن الهداية المسيحية [illegible] إلى طريق المستقيم

لذا فالإدارة لا ترى مانعا من طبعه ونشره وتداوله على حسابكم الخاص مع الالتزام بالعناية بالتدقيق في مراجعة ما ورد به من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية [illegible]

وفقنا الله جميعا لخدمة الإسلام والمسلمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحريرا في ١٥/٢/١٩٨٦م

[illegible]

٧٦

[illegible]

ملحوظة هامة

سوف يجد القارىء فى النصوص التى نستشهد بها فى هذا الكتاب من الأناجيل أن السيد المسيح عليه السلام يعبر فيها عن الله تعالى بكلمة الآب ، ولا يقصد بها معناها اللغوى المعروف ، بل المراد بها الإله المربى ، وكان هـذا اصطلاحاً سائداً عند اليونانيين الذين ترجمت عن لغتهم تلك الأناجيل ، ولهذا فإن المسيح ملأ الأناجيل بأنه بن الإنسان ، وأسند أبوة الله لغيره فى كثير من النصوص مما يقطع بأن المراد بها ألوهية الله وربوبيته وتربيته لعباده كما وصف الصالحين بأنهم أبناء الله بقصد أنهم أحباؤه وأصفياؤه ؟

والله الموفق

المؤلف

د . محمد فؤاد الهاشمى

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدى كتابى إلى الذين لهم أسوة حسنة فى خاتم النبيين محمد ووجيه الدنيا والآخرة ابن الإنسان عيسى عليهما أفضل الصلاة وأزكى السلام .

الذين ينشدون الحب والإخاء بنور الإيمان .

الذين آمنوا بحق الإنسان

الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه

لعل هذا الحوار يضيف شيئاً إلى ما كتبته وما كتبه غيرى فى مجال مقارنة الأديان . كما أدعو الله أن يكون لبنة فى جدار الصفاء والإخلاص والوفاء .

وخير لى أن أشعل عود ثقاب من أن أجلس مع الذين يسبون الظلام ومنى أزكى السلام إلى الرحمة المهداة محمد رسول السلام . وإلى المقرب عيسى الإنسان الذى نادى بالمحبة والإخاء .

وبالله التوفيق ؟

المؤلف

د محمد فؤاد الهاشمى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى أرسل « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما »(١)

وسلام الله على عباده الذين اصطفى لينيروا الطريق أمام البشرية لتأخذ رشدها وهداها .

وسلام على ابن الإنسان المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة .

والصلاة والسلام على البشير النذير المبعوث رحمة من الله للعالمين محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعـد :

فقد أخذنى حنين رشيد إلى عرض اخلافيات المسيحية الحقة التى وضع أسسها السيد المسيح عليه السلام تبليغا عن الله تعالى وما أرسى

---

(١) سورة النساء ص ١٦٥

الإسلام من قواعد خلقية ومبادىء إصلاحية ، وأنا أعرف تماماً لماذا جاء المسيح ، ولماذا ابعث محمد على الرسولين أفضل الصلاة والسلام .

وحين أضاء وجدانى النور الأخضر إشارة البدء ، وجدتنى أكتب تحت عنوان (حوار بين مسيحى ومسلم) . حوار بين مسيحى ذكى فطن ، ومسلم مترفع عن التعصب مستنير بنور الإسلام .

حوار بين اثنين يعرفان تمام المعرفة أنه ما جاء المسيح ومحمد عليهما صلوات الله وسلامه إلا ليبسطا أمام الإنسانية بساط المحبة والصفاء والإخاء ، وما بعث الرسولان الكريمان إلا ليقول المسيح : « ماجئت لأنقض الناموس والأنبياء ، بل جئت لأكمل »(١) وليقول محمد عليه الصلاة والسلام : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)(٢) وليقول الله « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » سوره المائدة .

جاء الرسولان من أجل حماية الإنسان من الانحراف عن عبادة الواحد الديان .

---

(١) إنجيل متى ص ٥ ف ١٧

(٢) رواه الحاكم فى مسند ركه

« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . . »(١) .

والإسلام دين الحق ينصف الحقائق ويجليها أياً كان مصدرها . يقول الله تعالى : « ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى . »(٢) .

ولهذا كان الحوار من منطلق الوحدة الإيمانية التى رسمها الله تبارك وتعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »(٣) .

وانطلق بى الشوق الواعى إلى أرض فلسطين حيث شهد التاريخ الصادق ، إنساناً وقف على أعلى الروابى شامخ النفس يصف نفسه بـ « ابن الإنسان » .

---

(١) سورة آل عمران ص ٦٤

(٢) سورة المائدة ص ٨

(٣) سورة البقرة ص ١٣٦

وابن الإنسان هذا مبعوث العناية الإلهية لغرض سام جاهد وكافح من أجله ، ألا وهو النهوض بالإنسانية وإزهار الحياة .

نعم هو المسيح بن الإنسان الذى نادى بأعلى صوته : « ياخراف بنى إسرائيل الضالة ، توبوا ! » .

ثم سرت مع التاريخ الحق إلى بلاد شبه جزيرة العرب وعلى جبال مكة حيث أشرقت الأرض بنور ربها بعد ستمائة عام من ميلاد المسيح ليبدد ظلام الوثنية وتشرق شمس التوحيد ، وتأخذ الأرض زينتها لتستقبل هادياً ينادى للإيمان ويقول :

« إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنمّا إلهكم إله واحد »(١) .

يجيب حين يسأل :

« يا أيها الناسُ إنى رسولُ الله إليكم جميعاً ، الذى له مُلكُ السمواتِ والأرضِ ، لاإله إلاهو يحى ويميتُ فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمنُ بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون »(٢) .

بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، كما بعث أخاه المسيح عليه السلام ، ليبعثا الحيـــاة فى العواطف الجامدة واليقظة فى القلوب الهامدة ليحركا حواس الخير فى الانسان لتتسع نفسه للعلاقات الحسنة ، وإقامة حياة إنسانية رفيعة يتحرر فيها العقل والضمير ، وتستقل فيها الإرادة والتفكير ، ويشعر كل فردٍ أن لاسلطان لأحد عليه سوى سلطان

(١) سورة الكهف ص ١١٠ (٢) سورة الأعراف ص ١٥٨

الحق ، ولهذا حارب الرسولان عليهما الصلاة والسلام : الظلم ، والبغى ، ومراكز القوة المسيطرة على فكر الإنسان وضميره فأعادا له كرامته .

والحوار هذا الذى بين يدى القارىء ، لايخرج عن جوهر الإسلام الوضاء ، والمسيحية الحقة ، غايته الإنصاف والنزاهة ، مبرءاً من التحيز والتحامل ، بحيث تحقق نزاهة العقل والضمير ثمرتها المرجوة ، حتى ترتقى الحياة وتصفو ، وتحيا البشرية الحياة الطيبة .

كما أن الحوار يسير على نمط موضوعى للمنهج العام الذى سارت عليه كتبى من قبل ، ألا وهو منهج الموضوعية المترفعة عن التعصب والتزمت والتحيز .

وقد حاولت بكل ما أوتيت من عزم أن أجعل الحوار غير ممل . مراجعه المصادر الأساسية فى الإسلام والمسيحية . وقد استمر عشرة ليالى أعقبتها بأنا بيش عن المسيحية والإسلام . واعتبرت المسيحى الذى رمزت إلى اسمه باسم (فاهم) ضيفا على المسلم الذى رمزت إلى اسمه باسم (محمد) ومن أدب الضيافة أن يبدأ الضيف بالحديث .

كما أشرت بالنسبة للمصادر المسيحية بحرف (ص) للإصحاح ، وحرف (ف) للفقرة .

هذا وبالله التوفيق ؟

المؤلف

د . محمد فؤاد الهاشمى

الغرض من الحوار

قياماً بحق الله علينا ، ووفاء لهذا الدين الذى شرفنا الله بالانتساب إليه . نتقدم بهذه الدراسات فى صورة (حوار) إذ أن الإسلام حقائق واضحة المعالم ، ولكنه فى حاجة إلى رجال يوضحون تلك الحقائق ويظهرون معالمه . ولكن لوحظ وجود مؤلفات كثيرة تحوى أساليب شيقة فى عرض الإسلام ، يقرؤها المسلمون فقط . لأن غير المسلم حين يرى عنوان الكتاب عن الإسلام بقلم مسلم ينأى عن الكتاب لأنه يظن أن هذا لا يعنيه ، أو أنه فى غير حاجة إلى معتقد غير معتقده . ويظل غير المسلم جاهلا بالإسلام ، يتقبل أى طعن فى الإسلام ويزكيه . وأستشهد فى رأيى هذا بما كتبه مسيحى فى مدخل كتابه :(١)

« فنى الإسلام ، إذن ، سألم ببعض جوانب ، وأنا سائر فى خطى النبى العربى . فلن يكون كتابى هذا بحثا علميا أو تاريخيا ، ولا سرد أحداث ووقائع ، وهو لن يكون محاولة شرح وتفسير نصوص إنما أردته وأريده شهادة مسيحى فى دين منزل من لدن الله ، من السماء فأسهم ، من خلاله ، فى إطلاع إخوة لى مسيحيين على حقيقة هذا الدين وما يحتوى من ثروات روحية وخلقية ، وعلى ما أدى للإنسانية عبر العصور ، من أجل الخدمات .

(١) نصرى سلهب فى مدخل كتابه « فى خطى محمد » مطابع الكتاب اللبنانى عام ١٩٧١ .

وما أنشده من الأعماق هو أن ننتقل جميعاً من الجهل إلى المعرفة ، لأن المعرفة طريق المحبة . ومن يمشى على هذا يدرك الله . لأن الله محبة ، وآمل أن أكون ، بهذا العطاء القليل ، قد وضعتُ مدماكا فى صرح نريده جميعا أن نتعالى صوب الله ، صرح فيه نلتقى ، مسيحيين ومسلمين ، لنسبح بحمد الله ونستغفره ، ونعيش إخوة محبين متحابين جاعلين من أمتنا سبق شعور بما سوف تكون عليه السماء(١) .

وقد أشار الكاتب المسيحى إلى بعض المطاعن فى الإسلام ودافع دفاعاً عن ذلك نحسبه له شكراً إذ أنه أعطى بالقدر الذى يستطيعه . فقال:

« ولإخوتى المسيحيين ، أنىّ كانوا ، أقول بمحبة : قبل أن تلجوا هذا الكتاب ردوا من كل ما علق فى أذهانكم واستقر ، وامحوا من مخيلاتكم وأعماقكم ما تراكم فيها عبر الزمن من آراء ونظريات ، واسعوا معى ، إلى الحقيقة المجردة ... » ثم قال : « من هذا القديم حسبنا أن نشير إلى ما يردد وهو : أن الدين الإسلامى فرض بحد السيف ، وأن البشر لم يقبلوا على اعتناقه إلا مكرهين . وليس خفيا على أحد ما ينطوى

(١) نصرى سلهب فى مدخل كتابه « فى خطى محمد » مطابع دار الكتاب اللبنانى عام ١٩٧١ .

عليه هذا الرأى من سوء القصد ، ومن دس خطير . . . . » ثم قال :
« نرى من الفائدة أن نمحى فى الذاكرة حتماً من التاريخ .

١ — إذا افترض أن الإسلام خاض حروباً دفاعاً عن الإيمان والمؤمنين ، أفلم تكن الحروب الصليبية هى أيضا من أجل الإيمان . أولئك الذين سلوا السيوف وأطلقوا الحراب ، وانقضوا بالآلاف على هذا الشرق وقاتلوا فقتلوا وقتلوا ، ألم يكن الصليب مرسوماً على صدورهم ؟ ألم يحاربوا تحت شعاره ؟

لقد حاربوا من أجل استرداد أرض المسيح الذى قال لبطرس :
« أردُد سيفك إلى غمده ، فمن يأخذ بالسيف يهلك » .

٢ — والدين المسيحى نفسه ألم يغدو مباحاً إلى جانب الأديان الأخرى على أثر انتصار قسطنطين فى حرب أبلى فيها المسيحيون البلاء الحسن ؟ كذا قال .

٣ — أكثر من ذلك : ألم يلجأ مسيحيو القرون الوسطى — وهم أعنف المسيحيين إيماناً — إلى ما أسموه « حكم الله » ليحسموا خلافات استحال عليهم حسمها بطريقة أخرى ؟ « وحكم الله » ، هـــل كان غير مبارزة الخصمين حتى يقتل من كان على باطل وينجو من كان على حق ؟ أليس ذلك تحكيم السلاح .

ثم قال : ولسنا بحاجة إلى إيراد الأدلة على أن العنف والسيف رافقا جميع الحركات الفكرية والثورات الدينية . ولم يكن ذلك ، فى معظم الأحيان ، إلا ردة لفعل أو دفاعاً عن النفس(١) .

ولهذا جعلت الحوار « حواراً بين مسيحى ومسلم » لأعرض الإسلام على المسيحى ، ولعل هذا يجذب المسيحى إليه فيقرؤه ويقف على بعض الحقائق الإسلامية ، وليعلم أن الإسلام معين روحى وخلق لاينضب ، ومن يَرِدْهُ لن يعرف العطش إلى روحه سبيلا ، فإلى وروده وأدعو قارئى إلى الغوص فى الإسلام قراءة وفهماً ، وما أعطيته إلا خيطا رفيعا يهديه إلى الاستزادة وقطع الطريق بأكمله .

وكما أعرض الإسلام على المسيحى . فإنى أعرض المسيحية نقية بغير تحريف أو تبديل على المسلمين الذين أهم ما يهمهم « توحيد الله تعالى ، وسلامة العقيدة . حتى يعرفوا أباطيل المبطلين ويقفوا على مايريده وما أراده الحق رب العالمين . الاطلاع على ما سبق من أديان حتى يثبت إيمانهم وأنهم على الحق المبين ، وهذا سر اختيارى لعنوان هذا الكتاب الذى ذيلته بأنابيش عن أطوار المسيحية من وقت أن جاء بها المسيح إلى أن قام مجتمع نيقية سنة ٣٢٥ م .

(١) راجع المصدر السابق ص ١٧ — ٢٠

كما أوردنا رأى رجال الدين المسيحى الغربى المعارضين للتثليث والبنوة ، وكذلك بعض الأبحاث العلمية فى هذا الشأن .

وقد ختمنا حوارنا بمسك الختام . كلمات عن الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم .

هذا وبالله التوفيق ؟

المؤلف

د . محمد فؤاد الهاشمى

الليلة الأولى

وحدة الرسالة

بين المسيح ومحمد

فاهم : حديثنا يبدأ الليلة عن شخصية ورسالة الرسولين الكريمين ، وقد بعثهما الله ليضما دعوة الخير فى إطارها الربانى .

محمد : نعم إنه لمن الخير أن نتحدث عن ابن الإنسان « المسيح » وعن النبى البشر البشير النذير « محمد » عليهما الصلاة والسلام .

فاهم : بعث المسيح ليبلغ عن الله أسس المحبة الأصيلة ، ويعيد للانسان مكانته الصحيحة التى سلبها الطغيان اليهودى منه .

محمد : ومحمد عليه الصلاة والسلام برسالته نفض عن الإنسان أغلال التبعية والخضوع والذلة ، وأعلن كلمة التوحيد ومحا كل أثر للشرك والوثنية .

ولقد اقتضت إرادة الله عز وجل أن يقترن مولد الرسول محمد ﷺ بأحداث كبرى تمهيداً لرسالته وتبشيراً بمولده ، فلما كانت الليلة التى ولد فيها ارتج إيوان كسرى وسقطت منه أربعة عشر شرفة ، وخمدت نار فارس ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة(١) .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ص ٢٦٨ .

فاهم : وكانت البشرى الأولى ببعثة المسيح على لسان « يوحنا المعمدان » الذى قال : أنا أعمدكم بماء ولكن يأتى من هو أقوى منى ، من لست أهلا لأن أحل سيور حذائه (١) ، وقال أنا أعمدكم بماء ولكن فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه (٢) .

محمد : كذلك تلقى محمد بشراه الأولى ببعثته على يد الروح الأمين جبريل عليه السلام فى غار حراء ، ثم الرجل الصالح الذى سمع قصة الوحى « ورقة بن نوفل » الذى قال للرسول ﷺ هذا الناموس الذى أنزل على موسى وعيسى .

ثم جاء نداء رب العالمين (يأيها المدثر . قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر) (٣) .

فاهم : اراد اليهود أن تنتهى حياة المسيح بالصورة التى تشبع أحقادهم .

محمد : نفس ما أراده اليهود للنبى محمد ﷺ حين أهدت إليه يهودية شاة مشوية وضعت السم فيها ، فلم يأكل منها إلا « بشر بن البراء » فمات . قبل أن يأكل باقى الصحابة الذين قال لهم رسول الله ﷺ :

(١) لوقا ص ٣ ف ١٥

(٢) يوحنا ص ١ ف ٢٦

(٣) سورة المدثر ١ - ٧

ارفعوا أيديكم فإن الشاة قالت أنها مسمومة . فأرسل الرسول ﷺ للمرأة فقال لها ما حملك على ما صنعت ؟ فقالت - إن كنت نبيا لم يضرك ، وإن لم تكن نبيا أرحت الناس منك . (١)

فاهم : ومع لؤم وكيد اليهود للمسيح وقف المسيح يقول اغفر لهم يا أبتاه لأنهم لا يعلمون ما يفعلون »

محمد : ورسول الله ﷺ ، لقد دمى وجهه ، وكسرت رباعيته فى غزوة أحد ، ومع ذلك وقف وقال (اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون) (٢) .

فاهم : سبحان الله هذا تشابه فى الأحداث التى وقعت ليسوع المسيح ، وما وقع للرسول محمد من أحداث .

محمد : هذا التشابه فى الأحداث ليس بمحض الصدفة ، ولكنه سنة الله مع رسله فقد أوحى إلى رسوله محمد « سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا » (٣) .

(١) طبقات ابن سعد

(٢) رواه البيهقى .

(٣) سورة الإسراء : ٧٧

فاهم : قال يسوع المسيح « لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص » (١)

محمد: رسالة الأنبياء جميعا إنقاذ البشرية من الضلال والكفر المؤديين للهلاك ، فهم رسل رحمه .

ويقول الله تعالى لنبي الرحمة « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (٢)

وقال لأمة محمد ﷺ « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » (٣) .

ويقول لنبيه « يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه ، وسراجا منيرا ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ، ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا » (٤)

فاهم : يفهم مما سبق بأن رسالة الرسولين الكريمين من أجل خلاص الإنسان

---

(١) لوقا ص ٩ ف ٥٦

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٣) التوبة ١٢٨

(٤) سورة الأحزاب ٤٥ - ٤٨ .

محمد : نعم ، والإسلام يقف بجانب الإنسان ، ويعطيه دائما عناية فائقة . ويقول تعالى :

« لقد خلقنا - الإنسان - في أحسن تقويم » (١) .

« أولا يذكر - الإنسان - أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا » (٢)

« هل أتى على - الإنسان - حين من الدهر لم يكن شيئا مذكوراً .

إنا خلقنا - الإنسان - من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً (٣) .

فاهم : إن تكريم المسيح للإنسان أنه سمى نفسه « إنسان » تارة و « ابن الإنسان » تارة أخرى ، فقال « أنا إنسان أكلمكم بالحق الذي سمعه من الله » (٤) ، وقال « لأن ابن الإنسان جاء ليخلص (٥) .

محمد : ومحمد عليه الصلاة « إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد (٦) كما أمره به ربه سبحانه .

فاهم : لهذا رفض المسيح أن يطريه أحد فقال « لا تدعوني صالحاً لأنه ليس أحد صالحاً إلا واحد هو الله » (٧) .

---

(١) سورة التين ٣٠ (٢) مريم ٦٧ (٢) سورة الإنسان ١-٢

(٤) يوحنا ص ٨ ف ٤٠ (٥) متى ص ١٨ ف ١١

(٦) سورة الكهف ١٠٠ (٧) متى ص ١٩ ف ١٦ — ١٧

محمد : نهى رسول الله محمد أصحابه عن أن يطروه . حين قالوا له أنت سيدنا . قال (لست سيداً لأحد ، إنما أنا عبد الله ورسوله) . وقال للأعرابى الذى وقف بين يديه يرتعد (إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة) . وحين رأى الناس يقومون له . قال لهم : (لا تكونوا كالأعاجم فإنهم كانوا يقومون لعظمائهم) وكان يمشى خلف أصحابه ، وحين دعوه ليتقدمهم قال (أحب أن أمشى وملائكة ربى وراء ظهرى) .

فاهم : المسيح أحيا الميت ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، وفتح أعين العمى وشفى المرضى .

محمد : نعم . وقد ذكر القرآن الكريم ذلك ، وقال إن الله هو الذى أجرى هذه المعجزات على يد المسيح تأييدا له فقال تعالى : « ويُعلمه الكتابَ والحكمة والتوراة والإنجيلَ . ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكمُ بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخُ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرصَ وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآيةً لكم إن كنتم مؤمنين(١) .

(١) سورة آل عمران ٤٨ — ٤٩

فاهم : لم يختلف القرآن عما جاء على لسان المسيح . إذ يقول :

« ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت السموات » (١) « أنا لا أقدر أن أفعل شيئاً من نفسى »(٢) . وإليك قصة إحياء الميت « ليعاذر » كما جاء فى الإنجيل فانزعج يسوع أيضا فى نفسه وجاء إلى القبر. وكان فى مغارة قد وضع عليه حجر فقال يسوع : ارفعوا الحجر . فقالت مرثا أخت الميت ياسيد قد أنتن لأن له أربعة أيام .

قال لها يسوع : ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله .
فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً .

ورفع يسوع عينيه إلى فوق : أيها الآب أشكرك لأنك قد سمعت لى . وأنا علمت أنك كل حين تسمع لى . ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى » ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : ليعاذر هلم خارجاً . فخرج الميت »(٣) .

(١) إنجيل متى صه ١٢ ف ٢٨
(٢) إنجيل يوحنا صه ٥ ف ٣٠
(٣) إنجيل يوحنا صه ١١ ف ٣٨ — ٤٤

محمد : إن آية الإحياء لم تعط للمسيح فحسب بل أعطاها الله من قبل لإبراهيم عليه السلام . فقد أمر الله إبراهيم — الذى سأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى — أن يمزق أربعة من الطير ، ويضع على كل جبل منهن جزءا . ثم دعاها فأتت إليه طيراً تسعى .
وإليك قصة إبراهيم والطير كما حكى القرآن الكريم « وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى ، قال أو لم تؤمن ؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ، قال فخذ أربعة من الطير فصرْهنّ إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم أدعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم »(١) .

وهاهى سنة الله يعطى كلَّ نبى آية أو آيات حسية كانت أومعنوية حسبما يقتضى عصر النبي ، وتقتضى طبيعة أهل العصر.

فاهم : وضح معنى أن آية كل نبى تتفق مع عصره وطبيعة أهل العصر.

محمد : إن عصر المسيح كان عصر الطب والحكمة فأعطاه الله آية الشفاء وأيده بآية الإحياء ، وعصر إبراهيم كان عصر المردة والجبارين وعباد الكواكب فكان لابد أن يعلموا أن الله عزيز حكيم ، وكان عصر موسى عصر السحر والسحرة فأعطاه الله آية العصا حية تلقف مايأفكون ... الخ

(١) سورة البقرة صـ ٢٦

وأما عصر محمد فكان عصر البلاغة والفصاحة ، والتاريخ ، والبحث فى الآيات الكونية . فأعطاه الله القرآن أكبر معجزة ليواجه به كل ماجمع العصر من علم وحضارة ، والقرآن أعظم آية وأوضح دليل على نبوة محمد ﷺ .

فاهم : كيف ذلك ؟

محمد : حين بدأ الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه يدعو إلى الله كأسلافه من الرسل ، ويعلن أنه رسول الله تعالى ، وأنه متصل بالسماء وأن الوحى ينزل عليه تباعاً ، وأن الله قد أرسله لتزكية النفوس وتطهيرها خلقيا واجتماعيا حسبما أراد الله : قال تعالى :

« لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين »(١) .

سخر العرب من الرسول ومن دعوته ، وكان لابد أن يفحمهم بآية . فكانت الآية القرآن الكريم . وهى الآية المعجزة .

(١) سورة آل عمران ١٦٤

فاهم : ماوجه الإعجاز فى القرآن ؟

محمد : لم يكن هناك وجه واحد لإعجاز القرآن ، فهناك وجوه كثيرة نذكر منها على سبيل المثال مايتناسب مع الاستعدادات البشرية الفطرية . إن الله الذى خلق البشر يحيط علماً باستعدادات البشر الفطرية . فأنزل الله القرآن معجزاً لكل الاتجاهات الفكرية .

فمثلا من وجد القرآن مصدقا لمابين يديه من التوراة والإنجيل وأخبار السابقين والغيبيات التى لا تحيط بها البشرية علماً . عرف إعجازه فى ذلك ، ومن نظر إلى القرآن من ناحية اللفظ ، وحسن النظم ، وجزالة الأسلوب وماله من روعة تملك السمع ، وتأخذ من السامع شعوره وجد أنه تحقق لديه الإعجاز فيما أدرك .

ومن أجال فكره فيما حواه القرآن من الأسرار الكونية التى تكشف عنها العلوم والبحوث أياً كانت فهومصدق لما فى الطبيعة والفطر مصداقا لقوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم » اتجه هذا الاتجاه .

فاهم : وهل جمع القرآن كل هذه الأنواع من الإعجاز ؟

محمد : نعم . جمع القرآن كل هذه الأنواع من الإعجاز ، وسيظل مصدر النور والهدى إلى يوم القيامة ، لأنه آية خاتم النبيين ﷺ ، ومن هنا نقول أنه جمع وسيجمع جميع الاستعدادات الفطرية والاتجاهات الفكرية الناضجة ، ولا ينبغى أن يتنكر له الأحبار من اليهود والنصارى والقرآن جاء مصدقا لما بين أيديهم من التوراة والإنجيل . وينبئهم بأخبار السابقين التى يعرفونها . وكان العرب فصحاء فأعجز القرآن فصاحتهم من ناحية اللفظ وجزالة الأسلوب مع ما لهم من روعة البيان . ولازال إعجاز القرآن مستمراً حتى قيام الساعة والكشوف العلمية والبحوث تظهر إعجازه العلمى من آن لآخر .

فاهم : هل لمحمد معجزات حسية غير القرآن ؟

محمد : إن القرآن الكريم هو معجزة الرسول العظمى هذا بالإضافة إلى المعجزات الحسية التى تحتاج إلى مجلدات ضخمة ولكن يمكن أن نسوق بعضا من المعجزات النبوية على سبيل المثال . فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : (كان النبى ﷺ يخطب إلى جذع . فلما اتخذ المنبر تحول إليه لحن الجذع ، فأتاه ﷺ فمسح عليه)(١) .

(١) رواه البخارى

شق القمر :

قال ابن عباس « اجتمع المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن كنت صادقا فشق للقمر فرقتين . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فعلت تؤمنون ؟ قالوا نعم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ماقالوا . فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله علية وسلم ينادى : يافلان . يافلان ، اشهدوا . وذلك بمكة قبل الهجرة .

وعن ابن مسعود قال : « انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظروا إليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا(١) .

وعن عمر رضى الله عنه فى قوله تعالى « اقتربت الساعةُ وانشق القمر »(٢) .

قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين .

وقال ابن زيد : لما انشق كان يرى نصفه على « قعيقعان » جبل مشرف على الحرم — والنصف الآخر على أبي قبيس .

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم

(٢) سورة القمر الآية ١

تكثير الطعام :

عن ابن إياس قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة فأصابنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا . فأمر رسول الله ﷺ ، فجمعنا مزاودنا فبسط نطعاً فاجتمع زاد القوم على النطع . فتطاولت لاحرزه فإذا هو كربضة العنز ونحن أربع عشرة مائة قال : فأكلنا حتى شبعنا جميعاً ثم حشونا جربنا — رواه مسلم — .

تكثير السمن :

عن أم أنس بن مالك قالت : كانت لى شاة فجمعت من سمنها ماملأت به عكة ، فقالت : يازبيبة ، امض إلى رسول الله ﷺ بهذه العكة يأتدمُ بها . فمضيت إليه فقالت يارسول الله إن أم سليم أرسلت بهذه العكة لتأتدم بها . فقال خذوها ففرغوها وردوها عليها فانصرفت بها ، وأم سليم غائبة عن المنزل ، فعلقتها على وتد . فلما رجعت أم سليم ، ورأت العكة مملوءة سمناً . تقطر . فقالت : يازبيبة ، ألم أتقدم إليك بحمل العكة إلى رسول الله ﷺ ؟ فقالت : لقد حملتها ، وإن لم تصدقينى فاسأليه .

فمضت فقالت : يارسول الله ، كنت وجهت إليك بعكة سمن لتأتدم بها . قال : قد وصلت . قالت والذى بعثك بالهدى ودين الحق لقد وجدتها مملوءة سمنا تقطر .

قال : أفتعجبين ، أن أطعمك الله كما أطعمت نبيه ؟ اذهبي فكلى وأطعمى . فانصرفت ففرغت منها عكة لنا ، وأبقيت ما تأدمنا به شهرا أو شهرين .

تكثير الماء :

عن زياد بن الحارث الصدائى قال : أتيت النبي ﷺ فبايعته على الإسلام ، ثم أتى وفد من قومى بإسلامهم فقالوا : يارسول الله ، إن لنا بئراً ، إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها فاجتمعنا إليه . فإذا كان الصيف قل ماؤها ، فتفرقنا على مياه حولنا ، وإنا لانستطيع أن نتفرق اليوم ، كل من حولنا لنا عدو . فادع الله أن يسعنا ماؤها . فدعا بسبع حصيات ، ففركهن فى يده ، ودعا ثم قال :

إذا أتيتموها ، فألقوها واحدة واحدة ، واذكروا اسم الله تعالى .

فما استطاعوا أن ينظروا إلى قعرها بعد .

نبع الماء من بين أصابعه ﷺ :

أخرج البخارى ومسلم عن أنس بن مالك ان نبى الله ﷺ كان بالزوراء فأتى بإناء فيه ماء لايغمر أصابعه فأمر أصحابه أن يتوضأوا . فوضع كفه فى الماء ، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ، وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم .

تحرك الجبل لأجله ﷺ :

عن سعيد بن زيد قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو على حراء ، فتحرك الجبل ، فضربه برجله ، ثم قال : اسكن حراء ، فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق ، أو شهيد . ومعه أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن ، ولو شئت أن يسمى التاسع لسميت . فأكثروا عليه أخبرنا فقال أنا .

معجزة شكوى الجمل إليه :

ونقل صاحب المواهب اللدنية عن عبد الله بن جعفر قال : دخل رسول الله ﷺ حائطاً من حيطان الأنصار ، وإذا جمل فلما رأى رسول الله ﷺ حن وذرفت عيناه ، فمسح رسول الله ﷺ على سراته وذفراه فسكن ، فقال : من صاحب الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال هو لى يارسول الله قال ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله عز وجل ، إنه شكا إلى أنك تجيعه وتتعبه .   رواه مسلم

تسبيح الحصى فى يده ﷺ :

عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ جلس فى مكان هو وأبو بكر وعمر وعثمان . فتناول النبي ﷺ سبع حصيات فسبحن حتى سمعت لهن حنينا

---

(١) ذفراه : موضع العرق من قفاه عند أذنه ، سراته أعلى ظهره

كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن . ثم أخذهن فوضعهن فى يد أبى بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا ، وهكذا فى يد عمر وعثمان فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ، ثم وضعهن فخرسن . هذا الحديث ذكره الإمام أبى الفرج عبد الرحمن الجوزى فى كتاب الوفا بأحوال المصطفى .

معجزة مجىء الشجرة إليه ﷺ :

روى البغوى فى شرح السنة وللطبرانى والبيهقى عن بن مرة الثقفى قال بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلا فقام النبى ﷺ فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها .

معجزات الرسول ﷺ فى الهجرة:

اجتمع الكفار عند بابه ليلة الهجرة لقتله . فخرج ، فأخذ حفنة من تراب فنثرها على رءوسهم فلم يروه ، وقرأ قول الله تعالى « وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون » . ثم انصرف حيث أراد . فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون هنا ؟ قالوا . محمداً قال : والله قد خرج عليكم .

ثم كانت جنود الله . العنكبوت الذى نسج بيته على الغار ، والحمامة والتى باضت على باب الغار . وصدق الله العظيم « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذهما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم » سورة التوبة .

وهذه الجنود إنما هى جنود الله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ولله جنود السموات والأض وكان الله مع نبيه .

وهذه أمثلة قليلة بقدر ما يتناسب وتخصص الكتاب ، ولا يفوتنا أن نذكر هذه المعجزة :

فعن أبى معبد الخزاعى وعن حبيش بن خالد فى دلائل أبى نعيم ، وعن أخى أم معبد حبيش صاحب رسول الله ﷺ فى شرح المواهب « أن رسول الله ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيره ودليلهم عبدالله بن أريقط ، فروا بخيمة أم معبد الخزاعية وكانت امرأة جلدة برزة ، عفيفة قوية تتحدث إلى الرجال ، تحتبى وتقعد بفناء الخيمة ثم تسقى وتطعم . فسألوها تمراً ولحما يشترونه فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك فإذا القوم مرملون مسنتون(١) فقالت . والله لو كان

(١) أى أصابتهم سنة جاءوا فيها وأرملوا أى أجدبوا فهم مرملون أى مجدبون جياع .

عندنا شيء ماأعوزكم القرى فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كسر الخيمة فقال ماهذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت : هذه الشاة خلفها الجهد عن الغنم

قال . هل بها من لبن ؟

قالت هى أجهد من ذلك .

قال . أتأذنين لى أن أحلبها ؟

قالت . نعم بأبى أنت وأمى إن كان رأيت بها حلباً .

فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال . اللهم بارك لها فى شاتها .

قالت . فتفاجت ودرت واجترت فدعا بإناء يكفى الرهط فحلب فيه فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب رسول الله ﷺ آخرهم وشربوا جميعا وتكرر شربهم حتى ارتووا ثم حلب فيه ثانية عوداً على بدء فغادره عندها ثم ارتحلوا .

فقل ما لبث ان جاء زوجها أبومعبد يسوق أعنزاً حيلا عجافا ، أى شياها ضعافا غير حوامل ، فلما رأى اللبن عجب وقال . من أين لكم هذا ، والشاة عازبة ولاحلوبة فى البيت ؟

قالت . لا والله إلا إنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت .

قال . والله إنى لأراه صاحب قـــريش الذى تطلب ، صفيه لى يا أم معبد ؟

فوصفته قال : هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لى من أمره ماذكر ، ولوكنت وافيته لالتمست أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا .

وبقيت الشاة التى لمس رسول الله ﷺ ضرعها ، حتى كان عام الرماده . زمن عمر ، وهى سنة ثمانى عشرة من الهجره .

فاهم — إن المعجزات التى أجراها الله على يد المسيح وأيد بها محمداً عليهما الصلاة والسلام لم تغرهما ولم تطغهما . أو تفتن أتباعهما فى شأن بشريتهما.

محمد — حاشا للرسل أن يغتروا أو يطغوا ومن الأجدر أن نقول أن ما أيدهما الله به من معجزات لم تخرجهما من بشريتهما أو من صفوف البشر . وأن ماأودع الله فى كل منهما من قوة وأيده بروح من عنده كان من أجل البشرية ، ومن هنا نقول إن أعظم معجزات المسيح هو المسيح نفسه ، وأعظم معجزات محمد هو محمد نفسه . إذ أن كلا منهما المعجزة التى أخرجت البشرية من الظلمات إلى النور ، فكانا الدليل على وجود الله . وقد اعترفا بأنهما من البشر ، أما ماظهر على أيديهما فهو من عند الله .

فاهم — أظهر المسيح أن القوة التى أيده الله بها بروح من عنده . لأن المسيح حين لمسته امرأة كانت تنزف دما من اثنتى عشرة سنة قال « علمت أن قوة خرجت منى » .

ولما علمت المرأة أنه انكشف أمرها . اعترفت بأنها لمسته . فلم يقل لها إنى أنا الذى شفيتك ولكنه قال فى الحال « ثقى بأنه إيمانك هو الذى شفاك . اذهبى بسلام(١) » .

محمد — إن الرسولين الكريمين عليهما الصلاة والسلام اهتما بأن يظهرا أن ما بهما من نعمة فإنما هى من فضل الله ، ذلك ليقضيا على الأساطير الموروثة من زمن بعيد ، والتى أقام أسسها الأحبار وتجار الأديان وإليك ما يؤكد ذلك :

لقد خسفت الشمس يوم مات « إبراهيم » ابن محمد ﷺ : فقال أصحاب محمد ﷺ إن الشمس خسفت لموت إبراهيم . وكانت فرصة يستعين بها الرسول على إثبات نبوته ، وليس عليه إلا أن يدع العبارة التى قالها أصحابه تنتشر ، ولكن لا . لا حاجة لذلك فإنه النبى لا كذب . أخذ الله له الميثاق : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ، لتؤمنن به ولتنصرنه .

(١) راجع إنجيل لوقا ص ٨ ف ٤٠ — ٥٥

قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى . قالوا : أقررنا . قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين(١) » .

إن أدلة نبوته ﷺ . كالشمس فى أعظم إشراقها . دليل ذلك أنه نادى أصحابه بأعلى صوته : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته » .

فاهم — إن المسيح ومحمداً أرسلهما الله لخلاص الإنسان ورفع راية السلام . فلنتحدث عن السلام فى المسيحية والإسلام .

محمد — إلى الليلة القادمة بإذن الله.

(١) سورة آل عمران : ٨١

الليله الثانية

السلام فى المسيحية والإسلام

فاهم — عرفنا فى الليلة السابقة أن المسيح ومحمداً عليهما الصلاة والسلام بعثهما الله لإرساء قواعد السلام . والمسيحيون بحكم عقيدتهم أهل سلام شعارهم « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » وتحيتهم « السلام لكم » والرد عليها « ولكم السلام والنعمة » .

محمد — إن لفظ الإسلام يعنى السلام الدائم بين المسلم والمسلم ، وبين المسلم وغير المسلم ، وأتم صيغة للتحية فى الإسلام « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » والرد عليها « وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته » لقول الله تعالى :

« فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة »(١) .

ومن القول المأثور « ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم وإنفاق من إقتار » .

(٢) سورة النور ص ٦١

وقد جمعت هذه الكلمات الخير الكثير ، فإن الإنصاف من النفس يقتضى أداء جميع حقوق الله ، وحقوق الناس كما يقتضى ألا يطلب ما ليس له ، وبذل السلام للعالم أى لجميع الناس والإنفاق من إقتار يستلزم الوثوق بالله والتوكل عليه .

ويقول النبى ﷺ « إن الله جعل السلام تحية لامتنا ، أمانا لأهل ذمتنا » (١) .

فاهم — إن رسالة المسيح تشيد بالسلام وأهل السلام فقد قال « طوبى لصانعى السلام » (٢) .

محمد — نعم . وقد فرض الإسلام على المسلمين صنع السلام . إذ شرع التحية عند اللقاء وعند المفارقة كمظهر من مظاهر المودة الصحيحة لأن التحية من شأنها أن تؤلف القلوب ، وتقوى الصلات ، وتربط الإنسان بأخيه الإنسان . قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنون حتى تحابوا ، ألا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » (٣) .

(١) رواه الطبرانى والبيهقى عن أبى أمامة الباهلى .
(٢) انجيل متى ص ٥ ف ١٩ .
(٣) رواه مسلم عن أبى هريره .

فاهم — تدعيما للسلام اشترط يسوع المسيح فض الخصام قبل تقديم القرابين إذ يقول :

« فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك ، فاترك هناك قربانك قـدام المذبح واذهب أولا واصطلح مع أخيك ، وحينئذ تعال وقدم قربانك »(١)

محمد — إن الإسلام قدم الوقاية من الخصام قبل حلوله ، وذلك بإحلال السلام الدائم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ثلاث يصفين لك ود أخيك تسلم عليه إذا لقيته ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه إليه » (٢) .

ويقول « يأيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » (٣) .

فاهم — إن المسيحية جعلت مناط السلام ، ومنبعه القلب إذ لا ينبع السلام إلا من القلب النقى قال يسوع المسيح « طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله » (٤) .

(١) انجيل متى ص ٥ ف ٢٢ — ٢٥ .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٣) رواه الترمذى وابن ماجة عن عبد الله بن سلام .

(٤) انجيل متى ص ٥ ف ٨ .

وقال : (إنه من فضلة القلب يتكلم الفم والإنسان الصالح من الكنز الصالح ، من القلب تخرج الصالحات ، والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور)(١) .
وقال : (وأما ما يخرج من الفم فهو ينجس ، لأن من القلب تخرج أفكار شريرة : قتل . زنى . فسق . سرقة . شهادة زور . تجديف ، هذه هى التى تنجس الإنسان)(٢)

محمد — أوضح الإسلام أهمية القلب وخطورته بالنسبة للانسان لأنه ليس أروح للمرء ، ولا أطرد لهمومه ، ولا أقر لعينيه ، من أن يعيش سليم القلب ، مبرءاً من وساوس الشيطان الذى يزرع الضغينة وثوران الأحقاد ، فإذا برىء القلب برىء اللسان ، وبذلك يحيا الإنسان ناصع الصفحة راضياً عن الله وعن الحياة ، مستريح النفس من نزعات الحقد الأعمى ، فإن فساد القلب بالضغائن داء عياء ، وما أسرع أن يتسرب الإيمان من القلب المغشوش كما يتسرب السائل من الإناء المثلوم : عن عبدالله بن عمر :

« قيل يارسول الله أى الناس أفضل ؟ قال : كل مخموم

(١) انجيل متى : ص ١٢ ف ٣٤ - ٣٥

(٢) انجيل متى ص ١٥ ف ١٨ — ٢٠

القلب صدوق اللسان . قيل : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال هو التقى النقى ، لا إثم فيه ، ولا بغى ولا غل ولا حسد)(١) .

ومن ثم تقوم الإنسانية على عواطف الحب المشترك ، والود الشائع ، والتعاون الصادق ، والمجاملة المتبادلة ، وهـذا هو الدواء الناجع لبوادر الجفاء وإرساء لقواعد السلام .

فاهم — المسيحية كرمت الإنسان الذى يرفع راية السلام مع الله غاية التكريم . ذلك لأن السلام معناه أن يكون الإنسان وديعاً دمث الخلق والوديع يورثه الله الأرض ، قال يسوع المسيح « طوبى للودعاء ، لأنهم يرثون الأرض(٢) .

محمد — كرم الله الإنسان الذى خلقه بيديه ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وسخر له ما فى السموات والأرض جميعاً ، وجعله خليفة فى أرضه ، وزوده بالمواهب والأسرار ، ليسود وتتحقق مواصفات الخلافة ، وليصل إلى ماقدر له من كمال مادى وارتقاء روحى ، وهما توأمان

(١) رواه مسلم

(٢) إنجيل متى ص ٥ : ف ٥

لايستطيع أن يعيش بواحد منهما دون الآخر كما وأن الكمال المادى والارتقاء الروحى أساس عناصر النمو ، ولا يمكن للانسان أن يحقق أهدافه ويبلغ غايته إلا إذا توافرت له جميع عناصر النمو .

قال تعالى : (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)(١) .

فاهم — ماهى عناصر النمو ؟

محمد — عناصر النمو هى : الإيمان ، والعمل الصالح المنتج . والأمن والأمان على حياته وماله وعرضه .

قال تعالى : (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)(٢) .

وهذا الإطعام وهذا الأمان لا يأتيان إلا بالتمكين للمؤمنين فى الأرض ولهذا :

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن

(١) سورة الإسراء ص ٧٠

(٢) سورة قريش ٣ — ٤

لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً
يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك
هم الفاسقون)(١) .

فاهم — حرص يسوع المسيح على بيان الأمن الذى وفره الله
للانسان . فقال :

(قد سمعتم أنه قيل للقدماء : لاتقتل ، ومن قتل
يكون مستوجب الحكم ، وأما أنا فأقول لكم إن كل من
يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم ومن قال لأخيه
رقا يكون مستوجب المجمع ، ومن قال لأخية يا أحمق
يكون مستوجب نار جهنم)(٢) .

وهذه هى من أهم عناصر السلام التى توفر للانسان
الأمن والأمان والنمو والاستقرار .

محمد — إن عناصر السلام جعلها الإسلام حقوقا شرع حمايتها ،
وفى طليعة هذه الحقوق التى ضمنها الإسلام وأكد صيانتها :
حق الحياة — حق التملك — حق صيانة الأعراض .
وهذه هى حقوق فيها أمن الإنسان وأمانه .

(١) سورة النور ص ٥٥

(٢) إنجيل متى ص ٥ ف ٢١ — ٢٢

فاهم — إن كلمات المسيح تضمنت الحق الأول : حق الحياة والحق
الآخر حق صيانه الأعراض . إذ أشار إلى جريمة القتل .
كما أشار إلى أن هذه الجريمة من الفظاعة أن يرتكبها إنسان مؤمن
وجعل وجوب الحكم لسوء الظن ، والمجمع مستوجبا
على اللامزين ، ونار جهنم عقاباً للمتنابذين بالألقاب .

محمد — هذا جميل ، ولكن الإسلام أفاض فى حماية هذه الحقوق
وصيانتها . فدعنا نذكر بعض وسائل الحماية على سبيل
المثال لا على سبيل الحصر .

فاهم — إلى الليلة القادمة بإذن الله إذ أنى على موعد .

محمد — لك ذلك وإلى الليلة القادمة إن شاء الله .

الليلة الثالثة

عناصر السلام

(١) حق الحياة

محمد — إن أول حق من الحقوق التى يفرض الإسلام حمايتها هو حق الحياة وهو حق مقدس لا يحل استباحة حماه .

يقول الله تعالى (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) (١)

والحق الذى تزهق به النفوس .. فسره الرسول ﷺ :

(لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) (٢) .

ويقول الله تعالى (وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) (٣) .

والله سبحانه وتعالى : جعل عذاب من سن القتل عذاباً لم يجعله لأحد من خلقه .

يقول الرسول ﷺ :

(١) سورة الإسراء ٣٣ (٢) رواه البخارى عن ابن مسعود

(٣) سورة التكوير ٨ — ٩

(ليس من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم كفل من دمها ، لأنه كان أول من سن القتل)(١) .

ومن حرص الإسلام على حماية النفوس ، أنه هدد من يستحل حمى النفس بأشد العقوبة .

يقول الله تعالى (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما) (٢) .

فهذه الآية الكريمة تقرر عقوبة القاتل فى الآخرة العذاب الدائم ، والخلود المقيم فى جهنم والغضب واللعنة ، ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما : لا توبة لقاتل مؤمن عمداً . لأنها آخر ما نزل ولم ينسخها شىء وإن كان الجمهور على خلافه ، ويقول رسول الله ﷺ :

(لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق) (٣) .

ويقول صلوات الله عليه : (من أعان على دم امرىء مسلم بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمة الله) (٤) .

(١) رواه البخارى ومسلم

(٢) سورة النساء ٩٣

(٣) رواه ابن ماجه بسند صحيح عن البراء

(٤) رواه البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما

فاهم — لاحظت أن الأحاديث النبوية والآيات القرآنية تنص على عذاب قاتل المسلم . ومفهوم ذلك أن المسلم من شهد بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، هل أفهم من ذلك أن دم غير المسلم يباح ؟

محمد — لا يا أخي . فإنه يعذب بالنار من قتل مسلماً ومن قتل غير مسلم ، أي من قتل نفساً . كانت نفس ذمي أو معاهد ، يهودي أو مسيحي ، فقد جاءت الأحاديث مصرحة بأن قاتل أحد هؤلاء يحرم من الجنة يقول رسول الله ﷺ : (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وأن ريحها يوجد عن مسيرة أربعين عاماً(١) .

فاهم — هل للانسان الحق في قتل نفسه ؟

محمد — جعل الإسلام قاتل نفسه أقرب للكفر من الإيمان . وقد نهى الله عن ذلك (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)(٢)

(ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً)(٣) .

---

(١) رواه البخاري عن عبدالله بن عمر .

(٢) سورة البقرة — ١٩٥

(٣) سورة النساء — ١٢٩

فاهم — هل من عقاب في الدنيا للقاتل ؟

محمد — من أبلغ ما يتصور من التشنيع على القتلة بالإضافة إلى توعدهم بالعذاب ، أن الإسلام اعتبر القاتل لفرد واحد ، قاتلا للناس جميعاً ، وهذا أعظم تشنيع على مرتكبي هذه الجريمة النكراء ، يقول الله سبحانه : « أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً »(١) . هذا غير ما شرع الله من القصاص : إعدام القاتل انتقاماً منه ، وزجراً لغيره وتطهيراً للمجتمع من الجرائم التي يضطرب بسببها النظام ، ويختل معها ، الأمن ، فقال تعالى :

« ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون »(٢) . ويقول تعالى موضحاً هذا القصاص :

« وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن والجروح قصاص »(٣) .

---

(١) سورة المائدة : ٣٢ .

(٢) سورة البقرة ١٧٩ .

(٣) سورة المائدة ٤٥ .

فاهم — إن يسوع المسيح نهى عن القصاص فقال « سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن . وأنا فأقول لكم لاتقاوموا الشر بالشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً (١) .

محمد — إن السيد المسيح عليه السلام ينهى الفرد عن أخذ الثأر بنفسه ، كما طلب دفع السيئة بالحسنة ، حتى ينتهى أثر الشر ، ويقضى عليه قبل أن يستفحل ويؤدى للقتل ، ولكنه لم يحرم على الحاكم فرض العقوبة المقررة من جنس الجريمة ، وهذه العقوبة مقررة فى جميع الشرائع الإلهية السابقة . كما أنه مقرر فى الدول المسيحية والإسلامية المتحضرة فى عصرنا الحديث ، إذ أن لكل فرد من أفراد المجتمع حق الحياة ، ولا يحل التعرض لحياته بما يفسدها بأى وجه من الوجوه .

وحتى فى القتل الخطأ لم يعف الإسلام القاتل من المسئولية ، وأوجب فيه العتق - خطوة من خطوات القضاء على الرق الذى كان سائداً فى الجاهلية وقضى عليه الإسلام كما أوجب عليه الدية . قال تعالى : « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا » (٢) .

---

(١) إنجيل متى ص ٥ ، ٢٨ — ٢٩

(٢) سورة النساء : ٩٢

وهذه العقوبة المالية إنما أوجبها الإسلام فى القتل الخطأ احتراماً للنفس ، حتى لا يتسرب إلى ذهن أحد هوانها ، وليحتاط الناس فيما يتصل بالنفوس والدماء ، ولتسد ذرائع الفساد ، حتى لا يقتل أحد أحداً ثم يزعم أن القتل كان خطأ .

ومن شدة عناية الإسلام بحماية النفس ، أنه حرم إسقاط الجنين بعد أن تدب فيه الحياة إلا إذا كان هناك سبب حقيقى يوجب إسقاطه كالخوف على أمه من الموت ونحو ذلك ، وأوجب فى حالة إسقاطه بغير سبب جزءاً من الدية يختلف باختلاف الأحوال .

فاهم — اعتقد أنه بذلك نكون قد استوفينا حق الحياة .

محمد — الحقيقة أن ما أوردناه هو قليل من كثير بل نعتبر ما أوردناه على سبيل المثال لأنه نذر قليل من التشريع الإسلامى فى مجال حماية النفس وحق الحياة .

فاهم — أرى أن ننتقل إلى حق التملك .

محمد — ليكن ما تراه . أتحب أن تشير إلى شيء ؟ وخاصة أنه قد سبق لك أن قلت بأن المسيح أشار إلى حق الحياة وحق صيانة الأعراض . فأرجو أن توضح رأى المسيح فى حق التملك .

النهى عن الملكية فى المسيحية .

فاهم — نهى يسوع المسيح عن التملك ، وأشار على من يريد الحياة الأبديه أن يبيع كل ما يملك ويتبعه « قال يسوع للشاب إن أردت أن تكون لك الحياة الأبدية ، فاذهب وبع أملاكك ، واعط للفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى ، فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزيناً . لأنه كان ذا أموال كثيرة »(١) .

محمد — إن السيد المسيح أراد أن يضع الشاب فى اختبار دقيق . لأنه رآه يؤثر دنياه على أخراه ؟ فإن كان صادق الإيمان ضحى بالمال فى سبيل الله ، وإن كان غير صادق الإيمان يتغلب عليه حب المال ، ولا يعقل أن ينهى المسيح كل إنسان سوى هذا الشاب عن كسب الحلال ، وإلا فمن أين يعيشون إذا تركوا السعى على المعاش وأضربوا عن العمل للدنيا ليستعينوا بالمال الذى يرزقونه على العمل للآخرة فى ظل حياة كريمة ، وهل منع الغنى والملك نبى الله سليمان عن أن يدخل جنة الله ويحصل على رضاه ؟ أما قول المسيح : « الحق أقول لكم أنه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت

(١) إنجيل متى ص ١٩ ف ٢١ — ٢٢

السموات . وأقول أيضا أن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من دخول غنى إلى ملكوت السموات »(١) فالغرض منه تحذير الأغنياء من عبادة المال وإيثاره على طاعة الله .

وكذا قوله : « وكل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولاداً أو حقولا من أجل اسمى يأخذ منه ضعف ويرث الحياة الأبدية »(٢) فالغرض منه أن لا يؤثر دنياه وأهله على طاعة الله بل يجعل دنياه وسيلة لمرضاة مولاه .

وفى هذا المعنى يقول الله تعالى : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين »(٣) فعلى الإنسان أن لا يؤثر دنياه على أخراه ، بل يعمل لكلتيهما معاً .

فاهم — من أقوال يسوع المسيح فى هذا الشأن :

« لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ ،

(١) إنجيل متى : ص ١٩ ف ٢٣ — ٢٤
(٢) إنجيل متى ص ١٩ ف ٢٩ — ٣٠
(٣) سورة التوبة ٢٤ .

وحيث ينقب السارقون فيسرقون ، بل اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء حيث لايفسد سوس ولاصدأ ، لايقدر أحد أن يخدم سيدين ، لأنه إما يبغض الواحد ويحب الآخر ، لاتقدرون أن تخدموا الله والمال . لذلك أقول لكم لاتهتموا لحياتكم بما تأكلون وبماتشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون . أليست الحياة أفضل من الطعام ؟ والجسد أفضل من اللباس ؟ أنظروا إلى طيور السماء إنها لاتزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوى يقوتها ألستم أنتم بالحرى أفضل منها ؟ ولماذا تهتمون باللباس ؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو ولا تتعب ولا تغزل . ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحد منها »(١) .

محمد — حتى نعى توجيهات السيد المسيح ، فإننا نحتاج إلى أسئلة توضيحية .

أليس عندك مال متوفر فى بيتك ، أو فى أحد الاوعية الإدخارية ، أو تملك عقاراً ؟

فاهم — عندى مدخرات لأستعين بها عند عجزى ، أو تنفع عيالى من بعدى .

---

(١) إنجيل متى ص ٦ ف ١٩ — ٢٩

محمد — هل أبعدك المال عن أداء العبادات ؟ وهل لاتعطى منه الفقراء ؟

فاهم — لم يشغلنى المال عن خدمتى لله . وأعطى الصدقة للفقير .

محمد — هل تهتم بما تأكل وتشرب وتلبس ؟

فاهم — نعم أهتم بالطعام لأنه ضرورى للحياة ، وأهتم باللباس ليقى جسمى من الحر والبرد ويستر عورتى .

محمد — هل تهتم بأناقتك ؟

فاهم — نعم حتى أكون محترماً بين الناس .

محمد — إذا فهل أنت تخالف أوامر وتوجيهات المسيح ؟

فاهم — أريد أن أعرف رأيك قبل أن أجيبك .

محمد — إنك لم تخالف توجيهات المسيح مطلقاً .

فاهم — وكيف ؟

محمد — لمن أرسل المسيح ؟

فاهم — لخراف بنى إسرائيل الضالة

محمد — هذا صحيح ، وبنو إسرائيل خرجوا عن عبادة الله إلى عبادة المادة ، وعبدوا المال من دون الله ، واتخذوا الوسائل غير المشروعة

فى جمعه ، فباعوا حتى الشعائر الدينية والنصائح الروحية بالمال ، مما أذهب بالقيم العليا وأضاع المثل المثلى بينهم . مما جعل الأرض فى حاجة إلى رسول من عند الله يدعو إلى المعنويات ، وتحقير الماديات ، وينادى بالقيم والمثل التى فقدها بنو إسرائل ، ولهذا أرسل الله المسيح عليه السلام ليرتفع ببنى إسرائيل من حضيض المادية إلى نور الله وهداه وهذا هو ماجاء المسيح من أجله ليعالج أمراض الروح فيهم ، ويحول نظرهم عن مطالب الجسد ، إلى مطالب الروح ، ومطالب الجسد أرضية ومطالب الروح سماوية .

فاهم : نعم جاء المسيح ليقيم معالى الأمور على أنقاض سفسافها ، ويبنى القيم والفضائل على أنقاض الرذائل . ولهذا قال لهم :

« ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله »(١)

محمد : وتوجيهات المسيح لاتحرم تملك المال ، بل تأمر أن يكون المال فى خدمة الله ، ولن يكون المال فى خدمة الله إلا باستثماره . ولذلك قال : لاتكنزوا لكم كنوزاً . أى

---

(١) إنجيل متى ص ٤ ف ٤

لاتضعوا المال فى مخازن الأرض (تحت البلاطه) حيث يفسد السوس والصدأ ، ويسرق السارقون ، فوصايا المسيح لاتتعارض مع الاستثمار .

فاهم — وهل حض المسيح على الاستثمار ؟

محمد — نعم . ألم يأمر بإخراج الصدقة ؟

فاهم — نعم . أمر بإخراج الصدقة سراً فقال : « احذروا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس »(١) .

محمد — والصدقة لاتخرج من المال المكنوز ، لأنه باستمرار إخراج الصدقة ينفد المال المكنوز . مايضع الإنسان أمام أمرين : إما أن يخرج الصدقة حتى يفنى ماله ويصبح فى عداد من يستحقون الصدقة أو تشح نفسه ويكون بذلك خادماً للمال : والسيد المسيح لايمكن أن يرضى أن يكون أحد أتباعه ممن يستحقون الصدقة ، أو أن يكون خادماً للمال .

فاهم — هل أفهم من هذا أن المسيح لم يحرم تداول المال ؟

محمد — نعم . هذا هو المنطق الصحيح ، إن المسيح يحض على تداول المال وعدم حبسه حتى تسير دفة الحياة فيسعد الغنى ،

---

(١) إنجيل متى ص ٦ ف ١ — ٤

وتنمو الصدقات فيغنى الفقير، وبالإنفاق من المال لا يكون الإنسان خادماً له بل خادماً لله. وهذا ما أوحى الله به إلى رسوله محمد ﷺ.
قال تعالى: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون»(١).

فاهم — إذاً ما تفسيرك لقول المسيح: «انظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع .. .. »؟

محمد — إن منهج المسيح عليه السلام هو منهج من سبقه من الأنبياء. إنه منهج الله يوجه جميع المؤمنين إلى الذى حكاه الله عنهم «ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا»(٢).

فاهم — كأن المسيح يدعونا إلى التوكل على الله. وما معنى التوكل على الله؟

محمد — نعم. إن المسيح كأسلافه من الرسل يوجه أتباعه إلى

(١) سورة التوبة ٣٤ — ٣٥
(٢) سورة إبراهيم : ١٢

التوكل على الله. والتوكل على الله معناه الثقة به سبحانه وتعالى والاعتماد عليه، وتفويض الأمر إليه، والاستعانة به فى كل شأن، والإيقان بأن قضاء الله نافذ، والسعى فيما لا بد منه من مطعم ومشرب والتحرز من العدو.

فاهم — وما أثر التوكل على الله؟

محمد — الحياة لا تطيب للإنسان، ولا يسعد بها، ولا يستطيع أن يقوم بدوره فيها كاملا إلا إذا استمتع بسكينة النفس، وطمأنينة القلب، وراحة البال، وعافية البدن.. وسبيل ذلك أن يثق الإنسان بربه، ويحسن الظن به، ويرد أمره كله إليه، كما علمنا ربنا أن نقول ما حكاه على لسان مؤمن من المؤمنين الذين واجهوا الطغيان: «وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد»(١).

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن حسن الظن بالله من عبادة الله»(٢).

(١) سورة غافر : ٤٤
(٢) رواه أبو داود والترمذى

وهاهو ذا رسول الله محمد ﷺ يضرب مثل الطير الذى ضربه أخوه المسيح عليه السلام : « لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً »(١) .

لأن الإنسان فى صراعه مع الحياة تنتابه المخاوف وتعتريه الصعاب ، فتنزل به الآلام النفسية ، فلا يجد للحياة طعماً ، ولا يستطيع مع هذا أن يقوم بدوره الرئيسى فى إسعاد نفسه ، ونفع غيره ، فتتعطل قواه المادية ويصبح شيئاً تافهاً لاقيمة له ولاغناء فيه ، ولكن بالتوكل على الله وتفويض الأمر إليه ، يطمئن قلبه ، ويسكن فؤاده ويرتاح باله فتتفتح أمامه آفاق الفكر والذكر وآفاق العمل والإنتاج ، وتعلو وجهه الابتسامة ، وتشرق له الحياة ، وبذلك يصبح عضواً نافعاً لنفسه وأمته .

(١) رواه الترمذى عن عمر رضى الله عنه .

الليلة الرابعة

حق حماية المال

وصيانة الأعراض

قاسم — إذا ومادمنا قد اقتنعنا بأن المسيحية لا تحرم الملكية ، فلنبدأ الحديث فى وسائل حماية المال .

محمد — كما احترم الإسلام حق الحياة ، فإنه كذلك احترم حق الملكية ، واعتبره حقا مقدساً ، لا يحل لأحد أن يعتدى عليه بأى وجه من الوجوه . ولهذا حرم الله السرقة والغصب ، والغش والربا ، وتطفيف الكيل والميزان ، كما حرم الرشوة ، واعتبر الإسلام كل مال أخذ بغير سبب مشروع أكلا للمال بالباطل .

قاسم — وهل شرع الإسلام لكل جريمة من جرائم المال عقوبة ؟

محمد — نعم شرع الإسلام عقوبات رادعة على جرائم المال ، لو طبقت الآن لاطمأن الناس على أموالهم ، واستغلوها فى الصالح العام .

فقد قضى الإسلام بقطع يد السارق ، حتى لا يسرق بها مرة أخرى . وفى ذلك حكمة بينة ، إذ أن اليد الخائنة بمثابة عضو مريض يجب بتره ليسلم الجسم . والتضحية بالبعض من أجل الكل ، مما اتفقت عليه الشرائع والعقول . كما أن فى قطع يد السارق عبرة لمن

تحدثه نفسه بالسطو على أموال الناس ، فلا يجرؤ أن يمد يده إليها وبهذا تحفظ الأموال وتصان يقول الله تعالى : «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم »(١) .

فاهم — هذا إذا كان سارق أو سارقة ، فما حكم العصابات وقطاع الطرق الذين يهددون أمن الناس ، هل تقطع أيديهم ؟

محمد — إذا تقوى اللصوص بقوة السلاح ، وأفسدوا فى الأرض وأخافوا الآمنين ، وخرجوا على النظام العام ، وسطوا على أموال الناس وجبت مطاردتهم والتنكيل بهم سداً لذرائع الفساد ومنعاً للعدوان .

يقول الله تعالى : «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم »(٢) .

فاهم — أليست هذه قسوة ؟ كما صورها بعض المستشرقين الذين قالوا إنها وحشية تأباها المدنية .

---

(١) سورة المائدة ٣٨ .

(٢) سورة المائدة ٣٣ .

محمد — أى مدنية هذه ؟ التى تسمح بالعبث وتهديد الأمن ، إنها مدنية اللصوص ، الذين يسرقون الشعوب ويهددون أمنها ، ويستنزفون دماءها ، ويسلبون ثرواتها ، ويعذبون ملونيها ، هذا الذى تراه فى الأمم المتحضرة ، نهب وسلب أرزاق وثروات ، وتسخير ، وتفرقة عنصرية فهل ننتظر من أصحاب هذه المدنية أن يرحبوا بالحكم عليهم ؟ هذه حكمة الله عز وجل وتشريعاته التى شرعتها كل الشرائع الإلهية السابقة .

ألم يشرع المسيح قطع اليد والرجل ؟

فاهم — شرع المسيح ذلك ، ولكن ترك للمذنب حق التنفيذ إذ يقول : «فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك . خير لك أن تدخل الجنة أعرج أو أقطع من أن تلقى فى النار الأبدية ولك يدان أو رجلان . . »(١) .

محمد — سواء وكل المسيح للمذنب قطع يده ، أو تركها للحاكم فقد أقر قطع اليد . وإن كان من الصعب على مرتكب الجريمة أن يبتر عضواً «من جسده» ، وخاصة السارق الذى لو كان ضميره حياً لما سرق ، وهنا يكون الحاكم أقدر على التنفيذ .

فاهم — ما حكم الإسلام فى الرشوة ؟

---

(١) إنجيل متى : ص ١٨ ف ٨ - ١٠ .

محمد — الراشى والمرتشى لاحظ لهما من رحمة الله ، إذ أن الرشوة من شأنها أن تفسد أداة الحكم و تسمح للقضاة بالتلاعب فى الأحكام ، وينقادون للهوى ، ويميلون حيث يحلو لهم الميل فيضلون عن الحق ، ولا يعرفون السبيل إليه . وإذا وصل من بيدهم الأمر إلى هذا الانحطاط ، ولم يجدوا من يقوم انحرافهم فعلى الأمة العفاء . يقول الله تعالى :

« يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب »(١) .

والله نهى عن أكل أموال الناس بغير حق ، على أى صورة . إذ يقول تعالى :

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون »(٢) .

ولعن رسول الله ﷺ الراشى والمرتشى فى الحكم »(٣)

(١) سورة ص : ٢٦ .
(٢) سورة البقرة ١٨٨ .
(٣) رواه أحمد وحسنه الترمذى وصححه ابن حيان .

فاهم : وما حكم الغصب ؟

محمد : الغصب يوجب العذاب الأليم . قال رسول الله ﷺ :

« من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أراضين »(١)

وقال « من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه ، فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة ، فقال رجل وإن كان شيئاً يسيراً يارسول الله ؟ فقال : وإن كان قضيباً من أراك »(٢) .

فاهم — هل حقاً ما نسمعه من أن مال أهل الكتاب غنيمة للمسلم ؟

محمد — استغفر الله فإن فى هذا القول افتئات وافتراء على الإسلام والمسلمين . إذ لم يفرق الإسلام بين المسلم وغير المسلم ، ومال غير المسلم مصون بحكم ما شرعه الإسلام وإليك القصة التى أوردتها كتب السنة .

« جاء يهودى يطلب دينا يداين به رسول الله ﷺ ، وكان قبل ميعاد السداد ، ومع هذا أغلظ اليهودى القول للرسول صلوات الله عليه : مما أغضب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقام لينهر اليهودى .

(١) رواه البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه
(٢) رواه مسلم عن أبى مسلم عن أبى أمامه

فنعه رسول الله ﷺ . وقال لعمر قولته المشهورة « كان يجب عليك ياعمر أن تأمرني بالسداد وتأمره بحسن الطلب » .

من هذه القصة نفهم أنه لو كان مال أهل الكتاب غنيمة . لكان مال اليهودى المعتدى غنيمة ولما نهى الرسول ﷺ عمر رضى الله عنه .

ويؤكد ذلك قول رسول الله ﷺ :

« من ظلم معاهداً أو انتقصه شيئاً ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة »(١) .

ويعنى هذا الحديث أن رسول الله ﷺ خصم لمن يظلم المعاهد ، وهو الذى يحاججه يوم القيامة .

فاهم — هل الغش من جرائم المال ؟

محمد — الغش فى البيع والشراء كماً أو نوعاً يسلب الغشاش شرف الانتساب إلى الأمة ، ونظرة الإسلام للغشاش هى نظرته إلى من يحارب الأمة فيقول الرسول ﷺ :

« من حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا »(٢) .

---

(١) رواه أبو داود

(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة .

« مر رسول الله ﷺ على صبرة « كومة » طعام فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بللا ، فقال ماهذا ياصاحب الطعام ؟ فقال : أصابته السماء يارسول الله قال ، : أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ، من غشنا فليس منا »(١) .

فاهم — ماحكم المتلاعبين فى الأسعار ؟

محمد — قال رسول الله ﷺ : « من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم ، كان حقاً على الله أن يقعده بعظم من النار » أى بمكان عظيم من النار »(٢) .

وكذلك حرم الإسلام الاحتكار . قال رسول الله ﷺ :

« من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس »(٣) .

فاهم — ماحكم الاسلام فى المتلاعبين فى الكيل والميزان ؟

محمد — قال الله تعالى : « ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون .

---

(١) رواه البخارى ومسلم

(٢) رواه الترمذى عن معقل بن يسار

(٣) رواه مسلم عن بن عمر رضى الله عنه .

ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين »(١) .

فاهم — هل الفوائد حرام ؟

محمد — الإسلام يسمى الفوائد رباً ، والربا استغلال لجهود الغير ، وهو مناف لروح التعاون والتضامن . ولهذا قال الله تعالى :

« يا أيهـــا الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلـكم رءوس أموالـكم لاتظلمون ولا تظلمون »(٢) .

وأى عمل مجيد ولو بلغ الاستشهاد فى ميدان الجهاد لايكفر خطيئة أخذ المال بغير حق . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لما كان يوم خيبر ، أقبل نفر من أصحاب النبي ﷺ فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد ، حتى مروا على رجل فقالوا : فلان شهيد . فقال النبي ﷺ :

« كلا إنى رأيته فى النار فى بردة غلها »(٣) وهذا بعض ماتيسر من الحديث عن حق حماية المال ، ولنتحدث عن حماية الأعراض .

---

(١) سورة المطففين ١ — ٦

(٢) سورة البقرة ٢٧٨ — ٢٧٩

(٣) أخرجه أبو داود

فاهم : تفضل فإنى فى غاية الشوق .

محمد : إن حماية الأعراض وصيانة كرامات الناس ، والمحافظة على حرماتها لها فى الإسلام شأن وأى شأن ، إنها حقوق فرضها الإسلام ، وجعلها دينا يتعبد به كما يتعبد بالصلاة والصوم والزكاة والحج والذكر والدعاء ، وليتبقى سلوكاً عمليا فى واقع الحياة ، ومظهرا من مظاهر المجتمع النظيف ، فضلا عن أنها تحفظ كيانه ، وتدعم أركانه ، وتقيه من التصدع .

ولقد أوسع الإسلام القول وأفاض فى الوسائل التى من شأنها أن تحقق هذه الغاية ونشير إلى آيتين كريمتين :

« يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولانساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم »(١) .

---

(١) سورة الحجرات ١١ — ١٢

وما تضمنته هاتان الآيتان : ١ - النهى عن احتقار الغير واستصغاره لغير سبب ظاهر ، سواء أكان الاستصغار بالعبارة أو بالإشارة ، أو بأى طريقة يفهم منها التحقير ، وإنما نهى الإسلام عن ذلك لما فيه من الاستهانة بأقدار الناس وكرامتهم ، وأقدار الناس وكرامتهم من الأعراض وربما كان المستهان به أكرم على الله من المهين .

يقول رسول الله ﷺ « رب أشعث أغبر ، مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره »(١) وقال ﷺ « قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله عز وجل : من الذى يتألى — يحلف — على ألا أغفر لفلان ، إنى قد غفرت له وأحبطت عملك(٢) .

٢ — النهى عن ذكر العيوب والنقائص ، فإن الطعن فى الأشخاص يحرج الصدور ويورث العداوات قال رسول الله ﷺ « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس »(٣) .

فاهم : هذا الحديث يحمل المعنى الذى قاله يسوع المسيح : « ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها ؟ أم كيف تقول لأخيك ، دعنى أخرج القذى من

(١) رواه مسلم وأحمد عن أبى هريرة
(٢) رواه مسلم عن جابر بن عبدالله.
(٣) ورد فى كتاب إسلامنا للشيخ سيد سابق ص ٢٨٥

عينك وها الخشبة فى عينك ؟ يامرائى أخرج أولا الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك »(١) .

محمد : ٣ - النهى عن أن يدعو أحد غيره بلقب يكرهه : ويطلق عليه لفظا يسوؤه أن يسمعه بل الواجب أن يدعو أخاه بأحب الأسماء إليه فإن إطلاق لفظ قبيح عمل غير كريم « بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان » .

فاهم : وهذا مادعت إليه المسيحية . إذ يقول يسوع المسيح : « من قال لأخيه رقاً يكون مستوجب الحكم ومن قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم »(٢) .

محمد : ٤ - إن مخالفة هذه التعاليم ، وعدم مراعاتها ، ظلم يسخط الله ويغضبه لأن ارتكاب هـذه الحماقات يفرق الجماعة ، والله يريد للناس أن يتعاونوا على البر والتقوى ويتجمعوا على المصلحة العامة ، ويعيشوا فى ظلال المحبة .

٥ - النهى عن الظن السيء ، وهو الحكم على غيرك بأمر سيء من غير اعتماد على أدلة صحيحة أو إثم من الآثام ، وهو أكذب الحديث) .

(١) متى ص ١٧ ٣٠ — ٣٥
(٢) متى ص ٥ ف ٢٢

يقول رسول الله ﷺ (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)(١) .

فاهم ـ نهى يسوع المسيح أيضا عن الظن « وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم »(٢) .

محمد ـ ٦ : ونهت الآيات عن التجسس وتتبع العورات ، لما فيه من انشغال بما لا يفيد ، وإثارة الضغائن والأحقاد .

فعن أبي برزة الأسلمى : أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه صعد المنبر فنادى بصوت رفيع :

« يا معشر من أسلم بلسانه ، ولم يفض الإيمان إلى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته ، يفضحه فى جوف رحله »(٣) .

٧ ـ النهى عن الغيبه : وقد عرف رسول الله ﷺ الغيبة فقال : أتدرون ما الغيبه ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، « قيل : أرأيت إن كان فى أخى ما أقوله ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته »(٤) .

فاهم ـ وإلى الليلة القادمة بإذن الله لنتحدث عن الشرور التى تصدر من القلب .

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة (٢) متى : ص ٥ : ف ٢١ .

(٣) رواه الترمذى .

(٤) رواه مسلم وأبو داود والترمذى عن أبى هريرة .

الليلة الخامسة

الشرور التى تصدر عن القلب

محمد ـ هذه الليلة ستخصص بإذن الله للحديث عن الشرور التى تصدر عن القلب حسب رغبتك .

فاهم ـ أشار المسيح إلى الشرور التى تصدر عن القلب فى قوله « لأن من القلب تخرج أفكار شريرة قتل، وزنى ، وسرقة ، وشهادة زور ، وتجديف »(١) .

محمد ـ تحدثنا عن القتل فى معرض الحديث عن حق حماية الحياة ، وتحدثنا عن السرقة من خلال الحديث عن حق حماية المال ، وبقى أن نتحدث عن الزنى ، والفسق ، وشهادة الزور ، والتجديف على الله .

فاهم ـ من أخطر الشرور التى أشار إليها يسوع المسيح : (الزنى) ومقدمة الزنى نظرة العين واشتهاء القلب ولقد حذر يسوع المسيح من هاتين الآفتين فقال « قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن، وأنا أقول لكم أن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى

(١) إنجيل متى ص ١٥ ف ١٩ — ٢٠ .

بها فى قلبه . وإن كانت عينك تعثرك فاقلعها وألقها عنك .
لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله
فى النار »(١) .

محمد — يحرص الإسلام على عفة النفس وطهارة الخلق ، وصيانة العرض
والشرف ، ومن أجل ذلك دعا كلا من الرجل والمرأة إلى
غض البصر ، والحياء من الله ، ليكون الرجل والمرأة عضوين
نافعين ، ولن يكون العبد مطيعا لله سواء كان رجل أو امرأة ،
إلا إذا تحققت عنده رقابة الله تعالى . يقول الله تعالى :

« .. والله يعلم ما تبدون وما تكتمون . قل للمؤمنين
يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله
خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن
ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها ، وليضربن
بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن
أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن او إخوانهن أو
بنى أخوانهن او بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن
أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على
عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من
زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »(٢)

(١) إنجيل متى ص ٥ ف ٢٧ - ٢٩ .
(٢) سورة النور : ٢٩ - ٣١ .

ونظرة الرجل يكون سببها تبرج المرأة لإظهار مفاتنها ولبس
ما يصف ويفسر جسدها ولبس مايشف عما تحته ، ولذا حض القرآن
الكريم النساء على الاحتشام ، كما حضهن بالتوجيهات والآداب لحفظ
شرفهن وصيانة كرامتهن ، وعدم إغراء الرجال للنظر إليهن والاعتداء
على أستارهن . يقول تعالى :

« يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً
رحيما »(١) وقال تعالى :

« ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى »(٢) .

فاهم — جعل المسيح عقوبة النظرة فقأ العين وإلقائها بعيداً ، فما هى
العقوبات التى فرضها الإسلام على النظرة ؟

محمد — لقد نهى الله عما يلفت النظر إلى المرأة أو يشجع عليها ،
ذلك لأن العين الخائنة المتلصصة ، لا يمكن ضبطها ، وإذا كان
المسيح جعل فقأ العين عقوبة فقد وكل تنفيذها إلى الإنسان
المتلصص ، ولن يقوم هذا الإنسان بفقأ عينيه إلا إذا استيقظ

(١) سورة الاحزاب : ٥٩ .
(٢) سورة الاحزاب : ٣٣ .

ضميره وخشى الله ، ومن هنا ترسم الإسلام الطريق الذى يساعد على غض البصر ، فنهى عن عدم تبرج المرأة ، وقدم الحافز على غض البصر قال رسول الله ﷺ (ليس أحب إلى الله من قطرتين وأثرين : قطرة دموع من خشية الله ، وقطرة دم تراق فى سبيل الله ، وأما الأثران : فأثر فى سبيل الله ، وأثر فى فريضة من فرائض الله »(١) .

ومن آثار خشية الله أن يمتنع الإنسان عن الاسترسال فى المعاصى والآثام ، ويتجنب الوقوع فيما يغضب الله ويوجب عذابه ، ويحجزه عن محارم الله ، ويقيه من النظرة الزانية ، ويطهر قلبه من الشهوات .

فاهم — إذا ما السبيل لاقامة الحدود وتوقيع العقوبة على مرتكب الجريمة ؟

محمد — الجريمة التى يمكن ضبط المجرم متلبساً بها هى جريمة الزنى وعقوبتها الجلد إذا كان مرتكبها غير محصن ، والرجم حتى الموت إذا كان محصناً ويستوى فى ذلك الرجل والمرأة . يقول الله تعالى :

---

(١) رواه الترمذى بسند حسن عن أبى أمامة الباهلى .

« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين »(١) .

فاهم — هذا عقاب رادع . قطعاً مائة جلدة بلا رأفة ، وتشهير أشد عليه من الموت الزؤام .

محمد — هذا غير خروج الزانية والزانى من دائرة الإيمان المستقيم .

لقوله تعالى : « الزانى لا ينكح إلا زانية أومشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين »(٢).

فاهم — أليس هناك عقوبة أخف من ذلك ؟

محمد — قال الله تعالى « ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله » .

فاهم — ما تعريف الفسق ؟

محمد — الفسق هو الخروج عن طاعة الله. قال تعالى « فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه »(٣) .

---

(١) سورة النور ٢ .
(٢) سورة النور : ٣ .
(٣) سورة الكهف : ٥٠ .

والفاسق حين يخرج عن طاعة الله ، إنما يخرج من دائرة الثقة التى يواليها الله للمؤمنين ، وبهذا لا يثق به المؤمنون ويكون محل ريبة منهم وشك فى كل ما يأتى من أنباء أو أخبار . يقول تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »(١) .

والبلدة التى كتب الله عليها الهلاك والخراب والدمار يتولى أمرها فاسقون . حتى يكونوا سببا من أسباب الحكم عليها . يقول تعالى :
« وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً »(٢) .

وقال تعالى « وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون »(٣) .

وهذه الآية فى أشد أنواع الفساق وهم الكافرون بالله .

وإذا أراد الله للعبد أن يبلغ الرشد والرشاد حببه فى الإيمان ، وحبب الإيمان إليه وجمله فى قلبه ، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان يقول تعالى :

(١) سورة الحجرات :٦ .
(٢) سورة الاسراء : ١٦ .
(٣) سورة السجدة ٢٠ .

« ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه فى قلوبكم ، وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم »(١) .

فاهم — نهى المسيح عن شهادة الزور فما موقف الإسلام من شهادة الزور وما حكمه على شاهد الزور ؟

محمد — إن الاسلام جعل الشهادة من أهم وسائل استقامة الحياة أو اعوجاجها ولهذا وصف كاتم الشهادة بأنه آثم قلبه ، لأنها أمانة قد ضيعها قال تعالى .

« فليؤد الذى أؤتمن أمانته وليتق الله ربه ، ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم »(٢) .

والخطورة الشهادة بين الله أنه شهيد على الشاهد ، يعلم ما فى نفسه . قال تعالى : « لله ما فى السموات وما فى الأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله »(٣) .

ولذلك اعتبر الاسلام شهادة الزور أقبح أنواع الكذب وأخشه ، لأن شهادة الزور ، يترتب عليها : ضياع الحقوق ،

(١) سورة الحجرات ٧ - ٨ .
(٢) سورة البقرة : ٢٨٣
(٣) سوره البقره : ٢٨٤

وكثرة المظالم، وخراب البيوت ، والتباعد بين الناس ، واضطراب الأمن وفساد المجتمع .

قال رسول الله ﷺ (ألا أونبئكم بأكبر الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين . وكان متكئاً فجلس . وقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور . فمازال ﷺ يكررها حتى قلنا ياليته يسكت)(١) .

والقائلون للزور ، والعاملون به لا يقبل منهم صيام . قال رسول الله ﷺ « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه »(٢) .

وشاهد الزور كاذب ، لم يكذب على الناس وحدهم ، ولكنه كذب على الله وعلى نفسه ، فغير الحقيقه وضيع حقوق الناس افتراء وظلما . قال تعالى : « إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون »(٣) .

فاهم — التجديف على الله ، هو تهجم عليه ، وهو افتراء الكذب على الله ، وهو شرك بالله ، وكفر به . قال يسوع المسيح « لذلك أقول لكم : كل خطية وتجديف يغفر للناس . وأما التجديف

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) سورة النحل : ١٠٤ .

على الروح فلن يغفر له . ومن قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له . أمامن قال على الروح فلن يغفر له فى هـذا العالم ولا فى الآتى »(١) .

محمد — المراد من التجديف على الروح ، الكذب فى وحى الله الذى نزل به الروح الأمين ومن كذب فيه فلا فلاح له فى الدنيا ولا فى الآخرة . قال تعالى : « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب . إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم »(٢) .

والمفترون على الله . تسود وجوههم يوم القيامة . قال تعالى : (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين)(٣) .

وإذا أخذ التجديف معنى الشرك . فيقول تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما)(٤) .

وإذا أخذ التجديف معنى الكفر . فإن الله رسم للكافرين صورة

---

(١) إنجيل متى : ص ١٢ ف ٣١ - ٣٢ .

(٢) النحل : ١١٦ - ١١٧ . (٣) سورة الزمر : ٦

(٤) سورة النساء : ٤٨ .

كالحة منفرة تدعو إلى التحقير والاشمئزاز منهم ، فهم فى نظر الله يحيون حياة حيوانية لا تتجاوز المتاع ولا الطعام . قال تعالى :

« والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنـــار مثوى لهم »(١) .

والأنعام لا تفقه ، ولا تسمع ، ولا تبصر . قال تعالى :

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون »(٢) .

فاهم – وصف المسيح الكفار كما وصفهم القرآن : « لأنهم مبصرون لا يبصرون، وسامعون لا يسمعون ولا يفهمون ، فقد صدقت فيهم نبوءة أشعياء القائلة : يسمعون سمعاً ولا يفهمون ، ومبصرون لا يبصرون ولا ينظرون ، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ ،وآذانهم قد ثقل سماعها . وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعون فأشفيهم »(٣) .

(١) سورة محمد ١٢ .
(٢) سورة الأعراف : ١٧٩ .
(٣) إنجيل متى ص ١٣ — ١٥ .

وحتى لما جاء يسوع يعلمهم فى مجمعهم حتى بهتوا وقالوا : من أين لهذا هذه الحكمة والقوات ؟ أليس هذا ابن النجار ؟ فكانوا يعثرون . وأما يسوع فقال لهم ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وفى بيته . ولم يصنع لهم قوات كثيرة لعدم إيمانهم)(١) .

محمد – هذا هو موقف الكفار من الأنبياء جميعاً ، استخفاف بالرسل وبأتباعهم والضحك منهم . وقد فضح القرآن أمرهم وسماهم المجرمين . قال تعالى : (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون ، وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين، وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون)(٢).

فاهم – ليت الأمر يقف عند هذا الحد ، بل يحاسبون على الابرة ويبلعون الجمل ، وينسون أخطاءهم ، ولا يرون إلا أخطاء الآخرين ، ويتمسكون بالأباطيل ، ويبطلون الحقائق : (جاء إلى يسوع كتبة وفريسيون الذين من أورشليم قائلين : لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ فإنهم لا يغسلون أيديهم حين يأكلون خبزا فأجابهم وقال لهم : وأنتم لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم ، فإن الله أوصى قائلا أكرم أباك وأمك ،

(١) إنجيل متى ص ١٣ ف ٢٤ - ٩٨ .
(٢) سورة المطففين ٢٩ - ٣٢ .

ومن يشتم أباً أو أماً فليمت موتاً . وأما أنتم فتقولون من قال لأبيه وأمه قربان هو الذى ينتفع به حتى لا يكرم أباه وأمه . فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم)(١) .

محمد — من طبيعة الكافرين أنهم يكثرون الجدل العميق ، لا طلباً للهداية ولا توصلا للحقيقة ، ولا اعتماداً على دليل ، ولا استنادا إلى حجة . قال تعالى : (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق)(٢) .

فاهم — الكفر شجرة خبيثة لا تطرح إلا المر والشر . قال يسوع المسيح : (.. أو اجعلوا الشجرة ردية وثمرها ردياً . لأن من الثمر تعرف الشجرة يا أولاد الأفاعى : كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار ، فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم)(٣) .

محمد — نعم الكفر هو كلمة خبيثة لا تثمر إلا الخبيث والمكر والخداع والضلال . ولكنها سريعاً ما تزول .

---

(١) إنجيل متى ص ، ١٥ ف ١ - ٦ .

(٢) سورة الحج ٨ - ٩ .

(٣) إنجيل متى ص ١٢ ف ٣٣ - ٤٠ .

يقول الله تعالى : (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار)(١) .

فاهم — آن لنا أن نتحدث عن الإيمان حتى نضيع مرارة الحديث عن الكفر بحلاوة الحديث عن الإيمان .

محمد — إلى ليلة قادمة بإذن الله .

---

(١) سورة إبراهيم : ٢٦ .

الليلة السادسة

الإيمـــان

فاهم : موعدنا إنشاء الله هذه الليلة ـ الحديث عن الإيمان .

محمد : إن الإيمان عقيدة وسلوك ، إذ أن سلوك الإنسان وتصرفاته مظهر من مظاهر عقيدته ، فإذا صلحت العقيدة ، صلح السلوك واستقام . وإذا فسدت العقيدة فسد السلوك واعوج .

ومن ثم كانت عقيدة التوحيد والإيمان بالله ضرورة لا يستغنى عنها الإنسان ليستكمل شخصيته ، ويحقق إنسانيته . إذ أن العقيدة تثمر الفضائل العليا . يقول تعالى : (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) (١) .

فاهم : الإيمان درجات . هناك من يسمع نداء الإيمان ولا يفهمه فيتبخر إيمانه ، وهناك من يؤمن على حرف إن أصـــابه ضيق يتبخر الإيمان ويضيع ، وهناك من تقضى الأهواء والملذات على إيمانه ،

(١) سورة إبراهيم : ٢٤ - ٢٥ .

وهناك الإيمان الذى يعود على صاحبه بالخير . وقد ضرب المسيح مثلا لذلك ، « هو ذا الزارع قد خرج ليزرع ، وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق ، فجاءت الطيور وأكلته ، وسقط آخر على الأماكن المحجرة حيث لم تكن له تربة كثيرة فنبت حالا إذ لم يكن له عمق فى الأرض ، ولكن لما أشرقت الشمس احترق وإذ لم يكن له أصل جف ، وسقط آخر على الشوك فطلع الشوك وخنقه وسقط آخر على الأرض الجيدة فأعطى ثمرا » (١) .

وشرح المسيح المثل قائلا : « فأنتم مثل الزارع . كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم فيأتى الشرير ويخطف ماقد زرع فى قلبه . هذا هو المزروع على الطريق ، والمزروع على الأماكن المحجرة هو الذى يسمع الكلمة حالا يفرح بها ويعقلها ولكن ليس له أصل فى ذاته بل هو إلى حين ، فإذا حدث ضيق واضطهاد من أجل الكلمة فحالا يعثره ، والمزروع بين الشوك هو الذى يسمع الكلمة وهم هذا العالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة فيصير بلا ثمرة ، وأما المزروع على الأرض فهو الذى يسمع الكلمة ويفهم ، وهو الذى يأتى بثمر فيصنع بعض مائة ، وآخر سنين » (٢) .

(١) انجيل متى ص ١٣ ف ٣ إلى ٩ .

(٢) إنجيل متى ص ١٣ ف ١٨ إلى ٢٣ .

محمد : إن الإيمان بالله فكر وتدبر فى دائرة نطاق العقل وحدود مداركه وقد دعا الإسلام إلى النظر فيما خلق الله من شىء فى السموات والأرض ، وفى الإنسان نفسه ، وفى الجماعات البشرية ، ولم يحرم إلا التفكر فى ذات الله ، لأن ذات الله فوق الإدراك . قال تعالى :

(لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصـــار وهو اللطيف الخبير) (١) .

(ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) (٢) .

(يعلم ما بين أيديهم وماخلفهم ولا يحيطون به علما) (٣) .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (تفـكروا فى خلق الله، ولا تفـكروا فى الله فإنـكم لا تقدروه حق قدره) (٤) .

والاسلام جعل أول درجات الايمان توحيد الله فى القلب ثم النطق . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الايمان بضع وسبعون شعبة : أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله . وأدناها إماطة

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠٣ .

(٢) سورة الشورى آية ١١ .

(٣) سورة طه آية ١١ .

(٤) رواه أبو نعيم فى الحلية بإسناد ضعيف .

الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الايمان) (١) .

فاهم : إن الأديان جميعا جعلت الايمان قولا وعملا .

محمد : إن شعب الايمان فى الاسلام منها مايتعلق بالقلب، ومنها مايتعلق باللسان ، ومنها مايتعلق بالأبدان .

فاهم : القلب مركز الايمان الأول ، لأنه من فضلة القلب يخرج اللسان ثم يكون العمل . يقول يسوع المسيح : « طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله » (٢) .

محمد : لم يغفل الاسلام القلب ، باعتباره مركز إشعاع الايمان ، ومع ذلك فلابد أن يأخذ الانسان بالأسباب الموصلة إلى النجاة . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس الايمان بالتمنى ، ولـكن الايمان ماوقر فى القلب وصدقه العمل . وإن قوما غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم . وقالوا نحن نحسن الظن بالله . وكـــذبوا . لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل) (٣) . وقال عليه الصلاة والسلام (إن الله لاينظر

---

(١) رواه مسلم .

(٢) إنجيل متى ص ٥ ف ٨ .

(٣) رواه البخارى .

إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) (١) .

والإيمان الصحيح تظهر صورته واضحة فى الحب والبغض والعطاء والمنع ، وهذا ما بينه رسول الله صلى عليه وسلم فى قوله (من أحب لله وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله فقد استكمل الإيمان) (٢) .

فاهم : إن أثر الايمان فى قول المسيح للذين تم شفاؤهم بإذن الله على يديه أن إيمانهم هو الذى شفاهم ، والمؤمنون الذين تألموا من أجل الايمان ، هم الذين لم يفارقهم حلمهم ، جاءوا وعطشوا من أجل الايمان ، وبهذا كانت لهم البشرى . قال يسوع المسيح : « طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات ، طوبى للحزانى لأنهم يتعزون ، طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض ، طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون ، طوبى للرحماء لأنهم يرحمون ، طوبى للانقياء القلب لأنهم يعاينون الله ، طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات ، طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين . افرحوا وتهللوا

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه أبو داود .

لأن أجركم عظيم فى السموات » (١) .

محمد : إن الايمان بالله الواحد يهذب الحياة ويرقيها ، ويصل بها إلى المدنية الصحيحة ، ويبلغها ماتنشده من الخير والتقدم وماتستهدفه من الحق والعدل، والايمان ينعم به الفرد وتسعد به الجماعة وتحيا فى ظله الحياة الطيبة . قال تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) (٢) .

وهذا الايمان هو الذى زكى نفوس المؤمنين الأولين وطهرها من الحقد والحسد والكبر والعجب ، والفسق والفحش ، والظلم والجور والقسوة والغلظة ، والأثرة والأنانية، وهو الذى خلصهم من أدران التربية الفاسدة .

فاهم : إن الايمان يفعل الكثير ، فيشفى الأمراض ، ويزيل العلل ، فهناك امرأة سامرية . سارت خلف المسيح مؤمنة بالله الشافى إن هى لمست هدب ثوب مسيحه ، فقال لها المسيح « ثق أن إيمانك قد شفاك » (٣) .

كما أن الايمان يعطى القوة، ويخلق المعجزات، فقد قال يسوع

---

(١) إنجيل متى ص ١ ف ١٤ .

(٢) سورة النحل آية ٩٧ .

(٣) إنجيل متى ص ٩ ف ٢٠ - ٢٢ .

المسيح « فالحق أقول لكم : لو كان لكم إيمان مثل حبة الخردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينطلق من هنا إلى هناك » (١) .

ويقول المسيح لاثنين من الجموع : « وكل ماتطلبانه فى الصلاة مؤمنين تنالانه » (٢) .

محمد : إن الإيمان بالله له أثره ، فالمريض إيمانه يشفيه مهما كان المرض مزمنا فقد قص علينا القرآن قصة أيوب عليه السلام حين نادى ربه واثقا فى رحمة الله ، موقنا باستجابة الدعاء .

(وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا مابه من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) (٣) .

كما أن الإيمان ينجى من المهالك . إذا أحسن العبد الظن بالله . وهاهو يونس إذ التقمه الحوت (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك

(١) إنجيل متى ص ٢١ ف ٢١

(٢) إنجيل متى ص ٢١ ف ٢١

(٣) سورة الأنبياء آية ٨٣ - ٨٤

إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) (١) .

والإيمان والاخلاص نجاة لما يتعرض له المرء من محن ، عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا : إنه لاينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم . . قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران ، وكنت لاأغبق - أى أسقى قبلهما أهلا ولا عيالا ، فنأى بى الشجر يوما ، فلم أرح عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما(٢) فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما ، وأن أغبق قبلهما أهلا أو عيالا ، فلبثت والقدح على يدى انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، والصبية يتضاغون(٣) عند قدمى ، فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لايستطيعون الخروج منه .

(١) سورة الأنبياء آية ٨٧ - ٨٨ .

(٢) الغبوق مايشرب ليلا ، والمراد به هنا اللبن الذى حلبه من ضروع ماشيته .

(٣) أى يتصايحون .

وقال الآخر : إنه كان لى ابنة عم ، كانت أحب النـــاس إلى فراودتها عن نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين ، فجاءتنى ، فأعطيتها مائة وعشرين دينارا ، على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت . . حتى إذا قدرت عليها قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه . فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى ، وتركت الذهب الذى أعطيتها : اللهم إذا كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها .

وقال الثالث : اللهم إنى استأجرت اجراء وأعطيتهم أجرهم ، غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال ، فجاءنى بعد حين فقال : ياعبد الله أد إلى أجرى . فقلت : كل ماترى من أجرك ، من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال ياعبد الله لاتستهزىء بى فقلت : لا استهزىء بك ، فأخذه كله ، فاستاقه . فلم يترك منه شيئا .

اللهم : إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة ، فخرجوا يمشون(١) .

والإيمان يفعل المعجزات، العجوز العقيم تلد ، والشيخ ينجب ،

(١) رواه البخارى وغيره.

والبكر تلد ابنا بغير أب يحمل رسالة السماء : (وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين ، فاستجبنا له ، ووهبنا له يحيا ، وأصلحنا له زوجه ، إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ، ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين)(١) .

فاهم — لقد أشار القرآن إلى صلب المسيحية فيحيا الذى ذكره القرآن هو (يوحنا المعمدان) الذى قال : (أنا أعمدكم بماء ، ولكن يأتى من هو أقوى منى)(٢) أما يونس فهو يونان الذى ذكره المسيح باسم يونان وضرب به المثل : (لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالى هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالى)(٣) .

المسيح إنسان ابن إنسان ولم يصلب :

محمد — من هو ابن الإنسان الذى مكث فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالى ؟

فاهم — يسوع المسيح .

(١) سورة الأنبياء : ٨٩ - ٩١ .
(٢) إنجيل لوقا ص ١٣ ف ١٦ .
(٣) إنجيل متى ص ١٢ ف ٤٠ .

محمد — هل يؤمن المسيحيون أن المسيح إنسان ابن إنسان ؟

فاهم — المسيح نفسه يصف نفسه أنه إنسان ابن إنسان فى الأناجيل .

محمد — اضرب لنا أمثلة بقدر ما يتسع الوقت .

فاهم — قال فى إنجيل يوحنا (ولكنكم تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله)(١) .

وقال فى نفس الإنجيل (هكذا ينبغى أن يرفع ابن الإنسان)(٢).

وجاء فى إنجيل متى « فتقدم كاتب وقال له يا معلم أتبعك أينما تمضى . فقال يسوع : للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار « وأما ابن الانسان فليس له اين يسند رأسه)(٣) .

وفى نفس الإنجيل « لأن ابن الإنسان قد جاء ليخلص ما قد هلك »(٤) .

وفى نفس الانجيل على لسان المسيح « إن ابن الانسان ماض كما هو مكتوب عنه »(٥) .

---

(١) إنجيل متى ص ٨ ف ٤٠ . (٢) إنجيل متى ص ٣ ف ١٤ .
(٣) إنجيل متى ص ٨ ف ١٨ - ٢٠ .
(٤) إنجيل متى ص ١٨ ف ١١ .
(٥) إنجيل متى ص ٢٦ ف ٢٤ .

محمد : نكتفى بهذا القدر ويحلو لنا أن نسأل إذا كان المسيح بن الإنسان فمن هو ابن الله ؟

فاهم : هو المسيح .

محمد : كيف يكون إبن الانسان هو ابن الله ؟

فاهم : ليست كلمة « إبن الله » هنا معناها « ولد الله » فبنو الانسان جميعاً هم أبناء الله ، بمعنى أنهم خلقه ، وأبوته لهم لا تعنى تلك الأبوة الوالدة التى تعرفها شهادة الميلاد ، بل هى ربوبية الخالق .

محمد : هناك حديث يقول : (أحب العباد إلى الله تعالى أنفعهم لعياله)(١) . فعيال الله عباده الذين يعولهم فهم المرزوقون والله هو الذى يعولهم « إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين . ومن الرزق الذى جعل الله من أسبابه حقا معلوما للسائل والمحروم أى أن الله فرض الزكاة والصدقات على الأغنياء للفقراء . وهناك من النفع العون والمساعدة فى النفع العام . وقد حفز الله الذين ينفعون عباده بأن جعلهم أحب الخلق إليه .

فاهم : والدليل على أن أبوة الله للناس جميعا ، أى خالقهم وربهم جميعاً جاء على لسان المسيح إذ قال فى أكثر من موضع من الأناجيل

---

(١) من مراسيل الحسين .

« ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات ، ولا تدعوا لكم معلمين لأن معلمكم واحد هو المسيح » (١) . كما قال : « كونوا رحماء كما أن أباكم رحيما »(٢) .

كما علم تلاميذه الصلاة قائلا : فصلوا أنتم هكذا « أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض .خبزنا كفافنا اعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا » (٣) .

محمد : من هنا تكون معنى كلمة أبانا (ربنا) وتعنى كلمة أباكم (ربكم) ومن هنا نعلم ونؤمن أن الله له الملك والملكوت رزاق غفور ، واحد أحد، فرد صمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

فاهم : يمكن أن نثبت أن عقيدة التوحيد واضحة كل الوضوح فى الأمثلة السابقة وسيتضح فى الأمثلة الآتية حيث تبين شهادة المسيح أن (الله واحد لا شريك له) .

طرد المسيح الشيطان قائلا : « اذهب ياشيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه تعبد » (٤) .

---

(١) إنجيل متى ص ٢٣ ف ٩ - ١٠ .

(٢) إنجيل متى ص ٤ ف ٥ .

(٣) إنجيل متى ص ٦ ف ٩ - ١٣ .

(٤) إنجيل متى ص ٤ ف ١٠ .

« وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح : أى صلاح لتكون لى الحياة الأبدية ؟ فقال له لماذا تدعونى صالحا ؟ ليس أحد صالحا إلا واحد هو الله » (١) .

« فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون ، فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله أية وصية هى أول الكل ؟ فأجابه يسوع: أول كل الوصايا هى اسمع يا إسرائيل : الرب إلهنا واحد فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك هذه الوصية الأولى . . . فقال الكاتب جيدا يامعلم بالحق قلت لأن الله واحد وليس آخر سواه ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة » (٢) .

« لأن الناموس بموسى أعطى . وأما بالنعمة والحق بيسوع المسيح صارا . الله لم يره أحد » (٣) .

محمد : لقد قرأت أن التلاميذ نادوا المسيح بكلمة (ربى) ألا يتعارض هذا مع ماقدمته من أدلة التوحيد ؟

فاهم : لا . لايتعارض هذا . وإليك إنجيل يوحنا يرد على سؤالك :

---

(١) إنجيل متى ص ١٩ ف ١٦ - ١٧

(٢) إنجيل مرقس ص ١٢ ف ٢٨ - ٣٣

(٣) إنجيل يوحنا ص ١ ف ١٧ - ١٨

« فتبعا يسوع . فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان فقال لهما ماذا تطلبان ؟ فقالا : (ربى) الذى تفسيره يامعلم أين تمكث) (١)
وبهذا يكون معنى كلمة (ربى) بكسر الراء (معلم) .

المسيح نبى ورسول :

محمد : من كل ماتقدم يمكن أن نقول إنك قد اتفقت مع رأى الإسلام وماحكاه القرآن من عتاب الله للمسيح عليه السلام ، ورد المسيح:
قال الله تعالى :

(وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟ قال : سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك إنك أنت علام الغيوب . ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد ، إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) (٢) .

(١) إنجيل يوحنا ص ١ ف ٣٧ - ٣٨ .
(٢) سورة المائدة آية ١١٦ - ١١٨

اهم — ما جاء فى القرآن لم يخرج عما قاله عليه السلام . إذ أنه لم يدع الألوهية ، بل أكد أنه نبى ورسول ، مبعوث من الله لينفذ مشيئة الله ، ويدعو الناس إلى عبادة خالقهم وإليك ما جاء على لسانه فى هذا الشأن : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ماجئت لأنقض بل لأكمل »(١) .
ولكن لماذا خرجتم لتنظروا ؟ أنبيا ؟ نعم أقول لكم »(٢) .
« ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه »(٣) .

هذا إعلان من المسيح أنه نبى . وإليك ماأعلنه من أنه رسول الله . ومن يتبعه فإنه يتبعه لأنه رسول إذ يقول « من يقبلنى يقبل الذى أرسلنى »(٤)

« طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله »(٥) .

« الحق أقول لكم من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ، ولا يأتى لدينونة » (٦) .

(١) إنجيل متى ص ٥ ف ١٧ .
(٢) متى ص ٨ ف ١١ .
(٣) يوحنا ص ٤ ف ٣٤ .
(٤) متى ص ١٠ ف ١٤ .
(٥) متى ص١٣ ف ٥٧ .
(٦) يوحنا ص ٥ ف ١٥ - ١٩ .

« فقالوا له ما نفعل حتى نعمل أعمال الله ؟ أجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذى هو أرسله »(١).

« فتعجب اليهود قائلين كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم ، فأجابهم يسوع وقال : تعليمى ليس لى ، بل الذى أرسلنى ، إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم ، هل هو من الله أم أتكلم من نفسى ومن يتكلم عن نفسه يطلب مجد نفسه ، وأما من يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم »(٢) .

« فنادى يسوع وهو يعلم فى الهيكل قائلا تعرفوننى وتعرفون من أين أنا . ومن نفسى لم آت بل الذى أرسلنى هو حق الذى أنتم لستم تعرفونه . أنا أعرفه وهو أرسلنى »(٣) .

الروح القدس :

محمد — الأقانيم الثلاثة أى « الثالوث » هى « الآب والابن والروح القدس » وقد اتضح أن « الآب » هو أب لجميع الخلق أى خالقهم . كما عرفنا أن (الإبن) هو أحد خلق الله ، والبنوة ليست بنوة شهادة الميلاد وإنما هى بنوة مجازية وأن والمسيح

(١) يوحنا ص ٦ ف ٢٨ - ٢٩ .
(٢) يوحنا ص ٧ ف ١٥ — ٩ .
(٣) يوحنا ص٧ ف ٢٨ - ٤٠ .

عبد الله ورسوله ، وأن الله لم يلد ولم يولد ، وأن المسيح مولود من مريم العذراء ومثله كمثل آدم خلقه من تراب . وبقى الأقنوم المكمل للثالوث وهو الروح القدس . فما رأيك ؟

فاهم — الروح هو روح الله الذى حل فى بطن مريم كما ورد فى سورة الأنبياء .

والتى احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين)(١) .

محمد — إن الروح الذى تشير إليه الآية الكريمة هو الملك جبريل الذى بشرها بأنها ستحمل وتلد المسيح) .

وهذا ما ورد فى إنجيل لوقا (وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة ـ إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم . فدخل إليها الملاك وقال : (سلام لك أيها المنعم عليها . الرب معك مباركة أنت فى النساء ، فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية . فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع)(٢) .

(١) سورة الأنبياء : ٩١ .
(٢) إنجيل لوقا ص ١ ف ٢٦ - ٣١ .

هذا مصداقا لقول الله تعالى فى القرآن الكريم :

(واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا . قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو على هين وليجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا) (١) .

فاهم : اعتقد أننا قد اتفقنا على أن المسيح روح من الله . وقد نص القرآن على ذلك فقال :

« إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » .

محمد : إن ماقدمناه من الانجيل وماعقبنا عليه بآيات سورة مريم وتوضيح أن الروح هو الملك جبريل ، وأن ماذكرته هو بعض آية كريمة من سورة النساء يجب أن نوردها لتبين لنا أن الثالوث نهى الله عن القول به ، وأن التثليث هو مغالاة فى الدين وأن الله واحد لا شريك له . يقول تعالى :

(يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا

(١) سورة مريم آية ١٦ - ٢١

الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة . انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافى السموات ومافى الأرض وكفى بالله وكيلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا) (١) .

فمعنى أنه روح من الله أنه روح من عنده بنفخة جبريل .

فاهم : رغم ماذكر من تثليث، نقول بإله واحد إذ نقول « باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد ، آمين » .

محمد : ولم هذا الدوران ؟ ولم لانقول : الله واحد؟ دون تثليث موروث من الامم القديمة التى كفرت بالله . ويمكن الرجوع إلى التاريخ ليذكرنا بنشأة الثالوث والتثليث .

فاهم : إلى الليلة السابعة بإذن الله .

(١) سورة النساء آية ١٧١ - ١٧٢ .

الليلة السابعة

التثليث ونشأته وتحليله

فاهم : أشرت فى الليلة السابقة أننا نعترف « بإله واحد آمين » أى أن الأقانيم جوهر واحد . أعنى أن الكلمة هى كلمة الآب ، وأن الروح القدس هو روح منه إذن تكون القدرة قدرة واحدة هى قدرة الله . وهذا يعنى أنه لا انفصال ولا تركيب فى الذات الإلهية ولكنها تتجلى فى معرض الإنعام بالبنوة فى معرض التلقى والقبول .

محمد : اعتقد بعد أن وصلنا بعد البحث والمناقشة الماضية . أن الله واحد لاشريك له منزه عن الوالدية والمولودية وأن المسيح إنسان وابن إنسان ، وأن الروح الذى بشر مريم هو الملك جبرائيل ، وأن المسيح نبى ورسول ، يكون من العبث أن نقول (الله ، والمسيح ، وجبريل . إله واحد) .

ومن هذا يكون من العبث الأخذ بمنطق التثليث الذى لم يرد فى صلب أى إنجيل من الأناجيل الأربعة المنسوبة إلى كاتبيها .

فاهم : ذكرت فى الليلة السابقة أن التثليث موروث عن الأمم السابقة . أرجو إيضاحاً لهذه العبارة .

محمد : لو رجعنا إلى ماقبل بعثة المسيح عليه السلام وتتبعنا الأديان القديمة كديانات البراهمة فى الهند وديانات القدماء المصريين ، والكنفشيوسية فى الصين ، لوجدنا أن تلك الأديان بدأت بتوحيد الله عز وجل ثم انحدرت إلى تثليث الإله الواحد وبعض الأديان كالدين المصرى وصل الله إلى تاسوع ثم إلى واحد وسبعين إله . ولا ننا لسنا بصدد مناقشة هذه الأديان ، فإننا لانتعرض لها إلا بالقدر الذى يفى بالغرض المنشود .

وبالتحديد سنأخذ على سبيل المثال : الثالوث الهندى ، والثالوث والتاسوع المصرى ، والثالوث الكنفشيوس فى الصين .

فبالرجوع إلى الديانات الهندية القديمة . نجد أن أقدم هذه الديانات هى ديانة البراهمة وأهم كتبها المقدسة (الفيدا) التى تتألف أسفارها من الريجافيدا ، والسامافيدا ، والباجورافيدا ، والآثارافيدا ، وبتصفح هذه الأسفار نجد أن الهنود آمنوا بالإله الواحد (براهما) ومعناه فى اللغة السنسكريتية القديمة (الله) وهو الإله المتصرف لاشريك له . صدرت الأشياء جميعاً عن وجوده ، وسرى منه الروح فى جميع الكائنات .

ويؤيد ذلك ماورد فى سفر (الريجافيدا) مامعناه .

« إننى أنا الله نور الشمس . ضوء القمر . بريق اللهب . وميض

البرق . صوت الريح . أنا العرف الطيب ينبعث فى الأرجاء . والأصل الأزلى لجميع الكائنات . وأنا حياة كل موجود ، وانى صالح وصلاح كل صالح لأنى الأول والآخر ، والموت لكل كائن » .

فاهم : هذا توحيد خالص . فأين التثليث ؟

محمد : قام بعض الكهنة تحت تأثير المصالح الشخصية وأشاعوا خرافة تقول أن (براهما) حل فى كبار الكهنة وأولهم « البراهما » ثم من بعده انتقل إلى تلاميذه (البراهما) ، واحداً تلو الآخر . بحيث من ينتقل إليه روح (براهما) يصبح من المتنبئين الذين يصدقون فى كل قول يصدر عنهم . مما حدا ببعضهم إلى التغالى فى الاختراع حتى أن بعضهم خرج عنهم فكرة التثليث ، وروا له حتى أصبح عقيدة شعارها التثليث .

فاهم : فما حجتهم فى ذلك ؟

محمد : الحجة الوحيدة أن من ادعى بحلول براهما فيه . لا يتسرب إليه الشك فيما يقول أو يدعى ، ومن هنا فإن بعض الكهنة أعطى (براهما) صفات مستقلة ، وبعضهم حصر أسماء براهما فى ثلاثة أسماء كل منها مستقل ، واتفق الجميع على تلك الأسماء ، وجعلوا كل اسم من الأسماء الثلاثة يطلق على إله له صفاته وذاته وعمله ومن هنا نشأ الثالوث الهندى (براهما — سيفا — فشنو) مكوناً من ثلاثة أقانيم كل أقنوم له وظيفته وملكوته كالآتى :

براهما : الذات الطاهرة التى لا حد لها ولا شكل . الذى توجه إليه الصلاة وهو الذى يقبل الدعاء حيث لا توجه الصلاة إلا إليه .

سيفا : الذى أشير إليه فى كتب تفسير الفيدا باسم (وورترا) أى القوة المستورة أو الإله الموكل بالرياح الثائرة الهوجاء . أى القوة المدمرة .

فشنو أوفيشا : وهو المكلف بالحياة وسريانها فى جميع الكائنات وهو المحى المميت .

ومن هنا يمكن أن نقول بيقين أن الثالوث الهندى بدعة من مبتدعات الكهنة . الذين جعلوا الإله الواحد آلهة ثلاثة ، وأصبح (براهما) مثلث الأقانيم (براهما — سيفا — فشنو) على اعتبار أن سيفا وفشنو إلا هان وقوتان نشآ عن براهما ، وقد فسروا الثالوث الهندى على الوجه التالى : (براهما) هو الإله الخالق . (سيفا) القوة التى تفنى وتعيد وتحول و (فشنو) هو القوة الحافظة أو الإله الحامى للخليقة .

والثالوث الهندى يعتبر أقدم ثالوث فى التاريخ . الذى ترتب عليه نظام الطبقات فى الهند نتيجة سيطرة الكهنة الذين ابتدعوا حلول الروح المقدسة (برهما) فى الحيوانات فعبدوها ولا زالت هذه العبادة قائمة فى الهند حتى الآن .

فاهم : لنكتفى بهذا القدر من الحديث عن الثالوث الهندى وننتقل إلى غيره .

إدريس عليه السلام :

محمد : هناك الثالوث المصرى ، فإن الديانة المصرية ، بدأت بالتوحيد والإيمان بإله واحد دعا إلى عبادته أول الداعين إلى الله نبى الله إدريس عليه السلام ، حتى انتقل إلى ربه وهو يدعو إلى عبادة الإله الواحد ، إله فردى أزلى خالق ، قبل كل شىء ويبقى بعد كل شىء لا بداية له ولا نهاية .

فاهم : من هو إدريس عليه السلام ؟

محمد : ماجاء فى كتب المؤرخين(١) عن إدريس عليه السلام ، أنه ولد بمدينة « إدفو » حيث هبط أهله الذين كانوا يسكنون ببابل ثم رحلوا إلى مصر وأنه كان يسمى « جورروس »، وقيل إن إدريس هو « خانوخ » باللغة العبرية ، الذى أطلق عليه فيما بعد باللغة العربية « أخنوخ » وسمى باللغة الهيروغليفية « خورروس » أو « هورروس » وعرف فى اللغة اليونانية « هرماكيس » ثم عرف باسم « هرمس » وسماه البطالسة فيما بعد « أغثاذى مون المصرى » وسمى فى الكتب المنزلة « إدريس » .

---

(١) مذكرات العالم الأثرى (مانون) جـ ٣ ص ١١١ .

فاهم — سلسلة النسب ليسوع المسيح تنتهى (بإبراهيم) وكذلك سلسلة نسب محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلمن ينتسب (إدريس) ؟

محمد — إن إدريس أقدم من إبراهيم وأقدم من نوح عليهم جميعاً الصلاة والسلام . فنسبه هو (إدريس بن برد بن مهيائيل بن قينان ابن آنوس ابن شيث بن آدم عليهم السلام) .

فاهم — هذه دراسة شيقة فهل من مزيد عن إدريس عليه السلام ؟

محمد — ذكر المؤرخون أن مدة حياته كانت اثنين وثمانين سنة ، عاش خلالها يدعو الناس إلى عبادة الله وتوحيده وتنزيهه عن كل شرك . كما دعا إلى الزهد والمحبة ، والعدل والاحسان ، وكان قربانه البقول والذبائح .

وأنه أول من عرف العلوم الكونية والجيولجيا والرياضيات وكثيراً من لغات أهل الأرض ، حتى قيل عنه أنه كان يملك من الأسرار والمواهب التى كانت تؤهله لأن يكون الداعى المستجاب ، حيث كان يحدث كل قوم بلغتهم ولهجتهم .

فاهم — هل عثروا على شىء من آثاره ؟

محمد — مع أن الوقت سيطول بنا . لكن لا مانع من أن نقول أن العلماء اكتشفوا فى القرن التاسع عشر الميلادى بعض مخلفاته ، التى توضح

تعاليمه ، كما تبين حقيقة ديانة المصريين القدماء وهى أقدم من الديانة الهندية .

وأخص آثار إدريس عليه السلام « حزامه » الذى كان يتمنطق به وقد وجد مكتوبا عليه :

« الصبر والإيمان بالله يورثان الظفر » ، « حفظ فروض الشريعة من تمام الدين ، وتمام الدين من كمال المروءة ، والمروءة خاصة من خواص الإنسان المتقى ، وعثر ضمن آثاره على فراش كان يصلى مصنوع من الحصير ، وكان مكتوبا على ذلك الفراش (السعيد من نظر نفسه فى مرآة صلاته وعبادته) .

كما كان من أقواله المأثورة : (حياة النفس فى الحكمة ، ومواتها فى الجهل) .

فاهم — لنتحدث عن عقـــائد المصريين التى انحرفت حتى وصلت إلى التثليث .

محمد — كانت عقائد المصريين بادىء ذى بدء هى العقائد التوحيدية التى دعا إليها نبى الله إدريس عليه السلام ، وعرفوا أن الله واحد لا شريك له فى الذات والصفات كما كانت عبادتهم خالصه تتمثل فى الرهبة والاحترام والخوف والطاعة ، يؤمنون أن الله قديم أزلى خالق لا بداية له ولا نهاية ، يفنى ولا يفنى ، كل شىء

زائل وهو باقى . وقد جاء فى مؤلف العلامة « ماسبيرو » وهو أستاذ فرنسى : « وكان إله المصريين الأول عالماً بصيرا يدرك ولا يدرك موجوداً بنفسه ، حاكماً بنفسه ، حاكماً فى الأرض والسموات ، فهو أب الآباء ، وأم الأمهات ، لايفنى ولا يغيب ، يملأ الدنيا وليس له شبيه ولا حد ، ويوجد فى كل مكان » .

وقد وجد أيضا فى هيكل إيزيس بصا الحجر نقش قديم يتضمن كلمات منسوبة للإله جاء فيها :

« أنا كل شىء كان ، وكل شىء كائن ، وكل شىء سيكون ، ومحال على من يفنى يزيل النقاب الذى تنقب به وجه من لا يفنى » .

وظل هذا الإله إحساساً داخليا وروحيا معنويا فى الضمير البشرى بلا اسم يعرف . ذلك الإله الذى استطاع الإنسان أن يبصر قدرته ، معترفاً بأنه مولاه ولا مولى له إلا الله ، وقد ورد فى بعض الأناشيد والأدعية الواردة فى كتب قدماء المصريين : « يامولاى وياسيدى إنك خلقتنى وصورتنى وجعلت لى عينا أبصر بها آثار قدرتك وآذانا أسمع بها أناشيد تقديسك » .

وبنفس الطريقة على مر الأيام انحدر الكهنة بديانة التوحيد فاتجهوا إلى تسمية الإله باسم (آتوم ثم قلوا أن الآتوم هذا له اسمان أحدهما

ظاهر والآخر خفى ، وقالوا إن الإسم الظاهر تكونت به السموات والأرض ، والباطن قام به الوجود وهو أصل كل شيء .

فإذا اتجه آتوم إلى العطاء (رع) وإذا ظهر بارزاً فى ظهور الشمس سمى آمون ، ومن هنا ظهر الثالوث المصرى (آتون ـ آمون ـ رع) ثم تفرع عن الثالوث آلهة أخرى حتى أصبح تاسوع . ثم جاء فى التاريخ اخبار آلهة فرعية ، كما أصبح لكل كاهن إله حتى بلغ عدد الآلهة واحدا وسبعين إلاها .

فاهم : لننتقل إلى ديانة « كنفشيوس » أى « الكنفشيوسية » .

محمد : إذا رجعنا إلى كتب الديانات الصينيه القديمة نجد أن الصينيين عبدوا أول ماعبدوا إلاهاً واحداً هو مولى السماء الرب العظيم ، مالك الأكوان . ذو العقل المتناهى الذى تهده أينما توجهت يجود بلطفه ورعايته على الصالحين ، ويستعمل الرحمة مع عباده واسمه عندهم (فى ين) أى الإله المعلوم من صفاته : المجهول ذاته الغير منظور . ثم حل هذا الإله فى أرواح الآباء والحكماء والملوك والقادة فتطور الإله إلى آلهة ثلاثة كل له قدرته ووظيفته ونشأ الثالوث الصينى بأقانيمه (فى ين ـ تشانج ـ تشانج تى ين) ووظيفة كل منها كالآتى :

تى ين : الإله المجهول الغير منظور

وتشانج : هو الروح التى حلت فى أرواح الآباء والأجداد والملوك

فصيرتهم مقدسين ، وببركتهم كانت كل الأشياء التى خلقت لهم وسرت تلك الروح إلى جميع المخلوقات ، من إنس وجن وحيوان وطير وهوام .

تشانج تى ين : هو إله الشمس وسياراتها والقمر ونوره والأرض ودورانها والسماء ومطرها .

فاهم : طال بنا الحديث عن نشأة الثالوث . أعتقد أننا نكتفى بهذا القدر .

محمد : نعم . ولكن هناك إضافة قصيرة هى ، أن الأديان ظلت بعد ذلك تتخبط على يد كهنتها حتى جاءت الديانة اليهودية ، فجاء اسم الإله الواحد (آهيا أو الوهيم أو يهوه) .

ولكن كما قدمنا من قبل أن بنى إسرائل خرجوا عن جادة الدين وعبدوا المادة ثم جاءت المسيحية لتصلح ماأفسده بنو إسرائيل وتدعو إلى الله عز وجل ، ولكن بعد انتقال المسيح تجدد الثالوث فجاء الثالوث (الآب ، والإبن ، والروح القدس) ولست أدرى لما ختموه (بكلمة إله واحد) فهل يعقل أن يكون الله والمسيح وجبريل (كما بينا من قبل) إلاها وحدا ؟

فهل يكون الثلاثة ، واحدا ؟ هذا ما أوضحناه فى الليلة السابقة .

فاهم : لنجلس إلى القرآن لنعرف قدر المسيح القرآن .

محمد : إن القرآن قد رفع قدر المسيح لدرجة لم يصل أتباع المسيح إليها . إذ أشاد القرآن بالمسيح وأمه ورفعهما إلى أعلى المنازل .

فاهم : إلى الليلة القادمة بإذن الله .

محمد : إنشاء الله وندعوه التوفيق .

الليلة الثامنة

موقف القرآن الكريم
من المسيح والمسيحية

فاهم : هذه الليلة ليلة القرآن ليحدثنا عن المسيح وأمه والمسيحية .

محمد : الإسلام يا أخي دين الكافة . اعترف بما سبقه من الأديان والرسل ، وأشار إلى الرسل جميعاً بكل التجلة والاحترام ، لا يفرق بين رسول ورسول ، ذكر الرسالات وحدث عن أخبار الأقوام ، ومواقفهم مع رسله ، ومعجزات الرسل ، ففي سورة آل عمران حدد الله شخصية المسيح : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »(١) .

فاهم : ولكن القرآن وصف عيسى بالوجاهة فى الدنيا والآخره وأنه من المقربين .

محمد : نعم . يقول الله تعالى : (« وإذ قالت الملائكة يامريم

---

(١) سورة آل عمران ص ٥٩

إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين »(١)

فاهم : وقد ذكر القرآن معجزة كبرى للمسيح إذ قال : « ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين »(٢) .

محمد : وفى سورة النساء يوضح لنا موقف المسيح من ربه ، ومدى اعتزازه بالعبودية لله عز وجل فيقول تعالى : « لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً »(٣) .

كما ينعت الله الذين ألهوا المسيح ويتوعدهم بالعذاب الأليم يقول تعالى : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومامن إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم » .

ولقد رفع الله منزلة أمه مريم إلى درجة الاصطفاء والتطهير . فقال تعالى : « وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » .(٤)

(١) سورة آل عمران ٤٥

(٢) آل عمران ٤٦

(٣) النساء ١٧٢

(٤) سورة المائدة ٧٣

ومع هذا الاصطفاء والتطهير لمريم يأمرها بما أمر به عباده جميعا فيقول (يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين)(١) .

ويحدد الله شخصية المسيح وماهيته ووظيفته . بحيث لا يترك قولا لمفترى فيحدد بشرية مريم ومرتبتها . يقول تعالى : (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون)(٢) .

ويبرىء الله المسيح مما نسب إليه . ويقرر ما قاله المسيح : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار)(٣) .

فاهم : نعم . إن القرآن أكرم المسيح ورفع شأنه فى سورة آل عمران ، وسورة النساء ، وسورة المائدة ، وسورة الأعراف ، والأنبياء ، والبقرة ، ومريم ، والصف وكثير من سوره . هذا ما يجعلنا دائما نعتقد أن القرآن كتاب صدق .

محمد : نعم كتاب صدق . نعم القرن كلام أصدق الصادقين رب العالمين .

(١) سورة آل عمران ٤٣

(٢) سورة المائدة ٧٥

(٣) سورة المائدة ٧٢

نزل به الوحي الأمين جبريل على النبي الأمين محمد ﷺ ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فاهم : اعتقد أننا قد وفينا الأمر حقه ، ولننتقل إلى موضوع آخر :

محمد : حقيقة الأمر أننا لم نحص آيات القرآن التي جاء بها مكرماً رسول الله المسيح عليه السلام . ولنختم الكلام في تكريم المسيح بآية سورة النساء التي تبرىء مريم من أكبر جريمة يصفه بها اليهود ، كما يقضي في قضية كذب فيها اليهود وصدقها المسيحيون : (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما . وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا)(١) .

قضية الصلب بين القرآن والأناجيل وأيهما نصدق :

فاهم : القرآن قال بعدم صلب المسيح . والأناجيل تقول أنه صلب . فأيهما نصدق ؟

(١) سورة النساء آية ١٥٦ — ١٥٩

محمد : نصدق القرآن . ونؤمن بما خبر به ولا يحق لنا أن نناقشه .

فاهم : لم نصدق القرآن . ولا نصدق الأناجيل ؟

محمد : لأن القرآن تنزيل من رب العالمين . نزل به الروح الأمين جبريل على محمد خاتم النبيين والمرسلين . والأناجيل قصص البشر ، وتنسب إلى كاتبيها مثل متى . ومرقس . ولوقا . ويوحنا وغيرهم وهي عبارة عن أخبار وقصص كتبها أصحابها . وليس أي كاتب من هؤلاء بمنأى عن الخطأ وتجاوز الحقائق .

فاهم : من الأفضل أن نقول أن هذه الأناجيل تحوي أخبار المسيح أثناء التبشير بدعوته التي نقلها تلاميذه ، ولا يصح أن نقول إنها قصص . والقصص تكون أقرب للتأليف من الأخبار الحقيقية .

محمد : لست أنا الذي أقول أنها قصص مؤلفة . بل لوقا هو الذي يقول في صدر إنجيله « إذا كان كثيرون أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا . كما سلم إلينا الذين منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة . .)(١) .

(١) صدر إنجيل لوقا

قضية الخطيئة الموروثة :

فاهم : إذاً كيف نصل إلى الحقيقة فى قضية الصلب ؟

محمد : يمكن أن نسلك الطريق للحقيقة عن ثلاثة طرق هى : هل هناك خطيئة أزلية ، الدليل المنطق ، مناقشة النصوص الإنجيلية .

فاهم : لنبدأ بمناقشة الطريق الأول . (الخطيئة الأزلية) .

محمد : على زعمهم أن المسيح صلب ، لم صلب ؟

فاهم : صلب المسيح لاتهام اليهود له بعدة اتهامات ألصقوها به منها أنه قال أنه ملك اليهود ، وأنه خالف التقاليد والوصايا ، وأنه جدف على الله .

محمد : وهل صلب المسيح بمشيئة الآب (الله) أم رغماً عن إرادته ؟

فاهم : بمشيئة الله ، لأن الله من صفاته « المحبة » ومن فرط محبته رأى أن يخلص العالم المبتعد عن الله من سقوط آدم فى الخطيئة بسبب وراثة هذه الخطيئة . فأرسل إبنه الحبيب ليخلص العالم ويصلب فداءا للبشر .

محمد : وإن كان هذا السند منهاراً من أساسه لانهيار قضية بنوة المسيح لله فى الفصل السابق ، لكن نسأل . مامصير السابقين على المسيح من

الأنبياء . مثل إبراهيم الذى ينتسب إليه المسيح وباقى الإنبياء من نوح حتى المسيح . هل ماتوا خطاة بالوراثة عن آدم ؟

فاهم : تعتبر الخطيئة قد محيت بمجىء المسيح وصلبه ؟

محمد : إذاً قبل المسيح كانت الخطيئة لاصقة بالسابقين ، ومن هنا يكون إبراهيم خاطئاً ، والمسيح من سلالة إبراهيم عن طريق أمه ، ويكون قد ورث الخطيئة . فهل لنا أن نسأل ؟ هل يطهر دم خاطىء خطيئة خطاة ؟

فاهم : حاشا أن يخطىء المسيح .

محمد : نقول معك إنه حاشا للمسيح أن يخطىء وهو نبى معصوم طهره الله ورفعه إليه ، ولكن تمشيا مع الحوار ونحن نقول إن الله « محبة » فى استطاعته مغفرة الذنوب والخطايا بكلمة منه لأنه هو الذى خلق آدم من تراب وليست المغفرة بأصعب من خلق آدم ولا من خلق عيسى المسيح ، وإذا كان الله يغفر الخطايا بكلمة ، فلماذا يسمح بصلب المسيح من أجل مغفرة الخطايا . يحضرنا هنا سؤال : هل الله يحب لسفك الدماء ؟

فاهم : حاشا لله أن يحب سفك الدماء . ولكن الله يحب البشر وينهاهم عن سفك الدماء .

محمد : نعم يحب الله خلقه ويشملهم برحمته ومغفرته ، وإليك مثلا من أمثلة الله لعباده الطائعين : هذا هو إبراهيم الذى أمره أن يذبح ولده ، وكيف نظر الله إلى إبراهيم عندما تل ولده للجبين فإذا بالله يخرج له فداءا أجمعت الكتب السماوية أنه « كبش عظيم » .

أما كان بالأحرى أن يفدى الله عباده من بدء الخليقة إلى إلى نهاية الدنيا بكباش بعدد خلقه حتى لا يصلب (ابنه) كما يزعمون وبذلك تكون محبته عمت العالم بما فيه (ذلك الإبن) الحبيب وإلا لقلنا أن الله أحب العالم ونزع محبته من إبنه وهذا مالا يصدقه عقل بشر .

فاهم : هذه أدلة منطقية يصدقها العقل . ولكن نحن مأمورون أن نصدق الأناجيل ؟

محمد : يا أخى نناقش الأناجيل لنثبت أولا : أنه ليست هنـاك خطيئة أزلية .

ليس هنـــاك خطيئة أزلية :

فاهم : هل الأناجيل قالت أنه ليست هناك خطيئة أزلية ؟

محمد : بالرجوع إلى الأناجيل الأربعة لم نجد أنه ورد على لسان المسيح عليه السلام نص واحد يشير من قريب أو من بعيد إلى هذه « الخطيئة الأزلية » الموروثة عن آدم وحواء .

وقد قام باحث جليل هو « الدكتور أحمد غنيم » بإيضاح هذه النقطة فقال فى كتابه (١) .

إنما نجد عند السيد المسيح عليه السلام : حديثاً بل أحاديث عن الخطيئة وعن الخطايا ، ولكن أية خطيئة وأية خطايا هى ؟ إنها — كما يصرح سائر النصوص بوضوح — تلك الخطيئة والخطايا التى يرتكبها الناس أنفسهم بما تقترف أيديهم وألسنتهم هم ، ولكن دون إشارة ولا تلميح من قريب ولا من بعيد إلى خطيئة سابقة موروثة عن أبيهم آدم وعن أمهم حواء نرى هذا صريحاً غاية الصراحة فى كافة أقوال المسيح عليه السلام كما وردت فى سائر الأناجيل .

بل إننا لنطالع أول بشرى بمولده وهو لا يزال جنينا فى بطن أمه فنجد مانصه : « لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس . فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » .

« إذاً فالسيد المسيح عليه السلام لم يأت ليخلص قومه من الخطيئة الأزلية التى ركم عليها الزمان ملايين السنين ، وإنما جاء ليخلص شعبه من خطاياهم » هم أنفسهم .

ومصداق ذلك ودليله فى صلب الدعوات التى لقنها لتلاميذه لجاء فيها :

---

(١) المرأة منذ النشأة بين التحريم والتكريم ص ٤٠ — ٤٣

« واغفر لنا كما نحن نغفر لمن اخطأ إلينا » .

« أن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم زلاتكم »

« وفيما هو مجتاز ، رأى إنساناً أعمى منذ ولادته »

« فسأله تلاميذه قائلين : يامعلم ، من أخطأ ، هذا ، أم أبوه ؟ حتى ولد أعمى »

« أجاب يسوع : لاهذا أخطأ ، ولا أبواه ! لكن لتظهر أعمال الله فيه »

فهل بعد هذا يمكن أن تستخرج لنا أى إشارة واحدة عن الخطيئة الأزلية الموروثة فى أى من الأناجيل .

فاهم : نعم . قال : لأن ابن الإنسان قد جاء ليخلص ما قد هلك(١)

محمد : المقصود بتلك العبارة ، أن أتباع موسى هلكوا لتركهم وصايا الله . وفى هذا هلاكهم ، وبعث الله المسيح ليكمل ناموس موسى ، وينقذ خراف بنى إسرائيل الضالة ألم يقل :

« لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ماجئت لأنقض بل لأكمل » (٢) ؟

(١) إنجيل متى ص ١٨ ف ١١
(٢) متى ص ٥ ف ١٧

فاهم : نعم . قال ذلك

محمد : إذا ليس هناك خطيئة أزلية موروثة ، وبسقوط دعوى الخطيئة الموروثة . تسقط دعوى الصلب .

فاهم : ألم تذكر أننا سنناقش قضية الصلب من الاناجيل

محمد : المسيح لم يصلب ولم يقتل !

فاهم : كيف ذلك ؟

محمد : إن المصادر التاريخية وخاصة الأناجيل تجمع أنه جاء جمع يتقدمهم يهوذا الأسخريوطى أحد الإثنى عشر ودنا من المسيح ليقبله ، قال المسيح : « يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن البشر » .

وتسير القصة : قبض على المسيح وقادوه إلى « قيافا » رئيس الكهنة الذى قام معهم ومضوا إلى بيلاطس (الحاكم) قائلين له : إنه يفسد أمتنا ، ويمتنع عن دفع الجزية لقيصر . هنا تقول الأناجيل « لأن بيلاطس لم ير له ذنباً . كما جاء فى إنجيل لوقا على لسان بيلاطس « إنى لم أجد علة على هذا الإنسان(١) . وكان المسيح من زمام هيرودس أرسله إليه . . ولكن هيرودس رده إلى بيلاطس الذى ظهر عدم

(١) إنجيل لوقا ص ٢٣ ف ٤

رغبته فى صلبه ، ولكن القوم صرخوا قائلين أصلبه ! فاضطر أمام رغبة الجميع أن يسلمه . . وبينما هم منطلقون إلى المكان المسمى بالجمجمة ، المحدد لصلبه . قابلهم فى الطريق رجل من القيروان يسمى « سمعان » كان آتيا من الحقل وحملوه الصليب .

فاهم : هذا اختصار لما ورد فى الأناجيل ولا خلاف ؟

محمد : لنناقش القصة . حتى يتبين أنها دليل على عدم صلب المسيح ؟

فاهم : كيف ذلك ؟

محمد : من القصة نتبين بوضوح(١) كان بيلاطس غير راغب فى تسليم المسيح لأنه لم يجد عليه علة تدينه .

فاهم : ولكن سلمه .

محمد : سلمه مرغماً بعد أن صرخ اليهود خوفاً على مركزه . وخاصة أنهم يتهمون المسيح بعدم دفع الجزية .

فاهم : ماذا تقصد ؟

محمد : لاتستبعد أن يكون بيلاطس قام بعمل وهو الذى يملك من الجنود والحاشية . الخ وأنه لشدة حقده على اليهود وخوفاً على مركزه لم يستطع عمل أى شىء فى تلك اللحظة ولكنه أضمر فى نفسه شيئا .

فاهم : فما هذا الشىء ؟

محمد : يمكن أن نقول أن بيلاطس فهم أن الذى سلم المسيح لليهود هو (يهوذا) فوجه نظره إليه وأراد أن يقتص منه لخيانته، وخاصة أن « يهوذا » بزيه ولحيته شديد الشبه بالمسيح ، وكان ذلك من الدواعى المشجعة لبيلاطس أن يأمر بعملية تبديل بين المسيح الذى لم يجد عليه علة وبين الخائن يهوذا .

فاهم : ولكن جاء فى الأناجيل التى نستشهد بها أن يهوذا خنق نفسه :

« حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ . . فطرح الفضة وانصرف فى الهيكل ثم مضى وخنق نفسه »(١) .

محمد : الدليل الذى يؤكد تهريب بيلاطس المسيح . رؤيا زوجته ، وأن الرومان كانوا يقدسون زوجاتهم وذلك ، ماأوردته الأناجيل « وإذ كان جالساً على كرسى الولاية أرسلت إليه امرأته قائلة إياك وذلك البار لأنى تألمت كثيرا فى حلم من أجله »(٢) .

فاهم : هذا القول لايمنع من أن يكون يهوذا قد خنق نفسه .

(١) إنجيل متى ص ٢٧ ف ٣ - ٦

(٢) إنجيل متى ص ٢٧ ف ١٩

محمد : إن هذا القول لبعض مؤرخى القرن المسيحى الأول : « بأن يهوذا لم ينتحر ، ولكن طرأت عليه فكرة يرتاح لها ضميره الذى كان يؤنبه فدخل وسط الزحام وتقدم إلى المسيح وحمل عنه الصليب ومكنه من الهرب بمساعدة جنود بيلاطس وتلاميذ المسيح.

فاهم : هذا رأى مؤرخ ويمكن عدم الأخذ به . .

محمد : لنترك رأى المؤرخين. ولنعد لنناقش الانجيل فى عملية التبديل . التى نجزم بها ، وهو أنه أثناء سير الركب اختفى المسيح بمساعدة بيلاطس وأتباعه ، وعندما شعر الجنود بهروبه ، ولم يجدوا بدأ من التصرف السريع حتى لاتلتفت أنظار اليهود وتكتشف غيابه ، وكانت المصادفة . حين قابلوا « سمعان القيروانى » : (ولما مضوا به ، أمسكوا « سمعان » رجلا قيروانيا آتيا من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع) (١) .

فاهم : ما الذى تعنيه ؟

محمد : أعنى أن سمعان لمَ يحمل الصليب خلف المسيح ؟ لأن المسيح كان يراد به التنكيل والصلب . فلماذا يريحوه ؟ وبالتالى ماذنب سمعان؟ إذن سمعان كان هو البديل للمسيح ليغطى جنود بيلاطس وتلاميذ المسيح هروب المسيح .

(١) انجيل لوقا ص ٢٣ ف ٤ .

فاهم : هل كان اليهود لايعرفون المسيح حتى تنطلى عليهم الحيلة ؟

محمد : نعم . اليهود كانوا لايعرفون المسيح . إذا صدقنا الإنجيل فى فى أن يهوذا أرشدهم إليه . وهذا يعزز الرأى القائل أنهم ظنوا أن حامل الصليب هو المسيح فأخذه رؤساء الكهنة إلى الصليب فى الحال . وبذلك كان سمعان هو المصلوب الذى دوخ العالم واحتار المؤرخون فى أمره . وصدق الله العظيم : (وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم . وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقينا) (١) .

فاهم : الموقف يحتاج إلى شىء من البحث أكثر .

محمد : يا أخى . أرجو أن تحكم العقل ، هل يصدق إنسان مهما كان أن الله أرسل ابنه ليلقى مصرعه على خشبة الصليب بطريقة وحشية لترضية نقمته على العالم ؟ وهل يرضى الله عن هذه الجريمة ؟ فإذا قلنا أن الله رضى عن هذه الجريمة ، فمرتكبوها مبرأون منها لأنهم ارتكبوها بأمر الله ، ويكون الله قد أمر بسفك الدماء ، واشترك معهم . وحاشا لله .

وللصلب تاريخ ونشأة ابتدعها اليهـــود ومن قبلهم المجوس والبابليون ؟

(١) سورة النساء : ١٥٧

فاهم : هل يمكن شرح ذلك ؟

محمد : لنبدأ بتاريخ ونشأة الصليب . ثم الصلب عندالبابليين . ثم ماجاء فى أسفار اليهود .

تاريخ الصليب :

فاهم : هل للصليب تاريخ قبل صلب المسيح ؟

محمد : نعم . يرجع تاريخ الصليب . إلى الإنسان الأول الذى اكتشف النار فقد عرفها بالصدفة بواسطة الاحتكاك بين بعض الأشجار الجافة والمواد الصلبة ، وكان أن توصل إلى توليد النار بواسطة احتكاك قطعتين من العصا . ومن ثم سحر الإنسان بالنار لدرجة العبادة ، وفعلا عبد النار ثم تطورت العبادة إلى قداسة، وقدأدى هذا التقديس أن يجعل للنار شعار ، وكان ذلك الشعار عصاتين متعامدتين كالصليب ، كذلك يزعمون .

كما كان المصريون يتخذون الصليب رمزاً للحب والتضحية من اجل الحب ، ولكن اليهود طوروا هذا المعتقد ، فجعلوا خشبة الصليب على أنها أداة تعذيب الخارجين على القانون . ولذلك اعتبروا أن من يموت على خشبة الصليب ملعونا ولذا تجـــده فى كتبهم كثيرا ومن هنا نقل العهدالجديد العبارات والعادات .

فاهم : إن مايعتقده اليهود يتعارض مع معتقدات العهد الجديد . فكيف ينقل العهد الجديد معتقدات اليهود ؟

محمد : على سبيل المثال جاء فى أعمال الرسل : « ولما أتموا كل ما كتب عنه أنزلوه عن الخشبة وجعلوه فى قبر » وكما جاء فى رسالة بولس إلى أهل غلاطية الأصحاح ١٣ فقرة ١٣ .

« المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب (ملعون من علق على خشبة الصليب) » .

وهو يقصد ماكتب فى التوراة فى سفر التثنية والذى يقول :

« وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل على خشبة الصليب لاتثبت جثته على الخشبة بل قد تدفنه فى ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب إلهك نصيبا » .

فاهم : ماذا تعنى ؟

محمد : اعنى أن عبارة بولس فيها اعتراف أن من يموت على الخشبة يكون ملعوناً على حسب نواميس اليهود ، وبذلك هو يتضارب مع ماقاله المسيح عن نفسه من أنه كان مباركا ومقدسا ومرضيا عنه من الآب .

قصة الصلب عند البابليين :

فاهم : اعتقد أننا أشرنا إلى تاريخ الصليب بما فيه الكفاية . فهل نتحدث عن الصلب عند البابليين ؟

محمد : قبل أن نتحدث عن قصة الصلب عند البابليين نشير أنه قبل ميلاد المسيح ظهر دعاة للخير زعموهم آلهة جاءوا للخلاص وكلهم ماتوا من أجل خطايا البشر . فقد ظهر فى مصر « أزوريس » و «بعل» فى بابل و « كرشنا » فى الهند و « بالى » فى آسيا و « ثماموس » فى سوريا و « يوفسيوس » و « يورمسيوس » فى اليونان . وهكذا إلخ .

ويمكن أن نلخص عقائد البابليين فى « بعلهم » حتى يتبين وجه الشبه بين عقائد الذين يقولون بصلب المسيح وعقائد البابليين فى « بعل » فى جدول المقارنة الآتى :

بعل	المسيح
(١) قبض عليه وأخذ أسيراً	قبض على المسيح وأخذ أسيراً
(٢) حوكم فى قاعة المحكمة	حوكم فى قاعة بيلاطس
(٣) ضرب بعل	جلد المسيح
(٤) أخذ بعل إلى الجبل	أخذ المسيح إلى الجمجمة
(٥) أخذ مع بعل مجرمان أطلق سراح أحدهما	أخذ مع المسيح لصان أطلق سراح أحدهما (بر آباص)
(٦) بعد قتل بعل تهدمت المدينة .	بعد صلب المسيح تحطم الهيكل وخرج الموتى ودخلوا المدينة
(٧) أخذت ملابس بعل	اقتسم الجنود ملابس المسيح .
(٨) ذهب بعل إلى الجبل واختفى من الحياة	خرج المسيح من القبر وذهب إلى الملكوت
(٩) ذهبت امرأة تبكى عند قبر بعل .	ذهبت مريم المجدلية تبكى عند قبر المسيح
(١٠) عاد بعل إلى الحياة ثانية	ارتفع المسيح من القبر حياً

ماجاء فى أسفار اليهود :

فاهم : اذكر ماجاء فى أسفار اليهود عن الصلب .

محمد : لقد جاء فى سفر زكريا فى الفقرة العاشرة من الأصحاح الثانى عشر « وأفيض على بيت داوود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرعات فينظرون إلى الذى طعنوه » .

هذا إلى أننا نثبت أن كل ما نسب للمسيح فى الساعة التى زعموا أنه صلب فيها موجود من قبل فى أسفار التوراة واستحدثوه للإيهام وسبك الخدعة . وإليك أمثلة على ذلك بقدر مايتسع المقام :

فقد جاء فى سفر أشعياء « حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه وآخرون لطموه » ، وفى الوقت نفسه ورد فى إنجيل متى عند ذكر حادثة الصلب أنهم فعلوا بالمسيح مثل ذلك .

وقال داود فى مطلع مزموره الثانى والعشرين « إيلى . إيلى لماذا شبقتنى أى « إلهى . إلهى . لماذا تركتنى » ، وذكرت فى جميع الأناجيل عند سرد قصة الصلب على أن المسيح قالها على خشبة الصليب .

كما جاء فى مزمور داود الحادى والثلاثين الفقرة الخامسة « فى يديك أستودع روحى » ، وجاءت فى العهد الجديد على أنها على لسان المسيح .

وروى داود فى مزموره التاسع والستين الفقرة الحادية والثلاثين :
« فى عطشى سقونى خلا » ، ونسبوها للمسيح على أنه سقوه خلا عند صلبه .

ومن العجيب أن نرى فى الأخبار والروايات التى تروى عن موت المسيح استثناء دائما للمسيح ، فمرة يأتون له بشخص يحمل له الصليب ، ومرة لا يكسرون ساقيه بحجة أنه قد مات وهكذا نرى كسر القوانين اليهودية مع المسيح والتخلى عن العادات اليهودية على طول الخط .

فاهم : الكتاب بصلب المسيح تنبأ وهذه هى النبوءات .

محمد : لنحلل ماجاء فى العهد الجديد ، ونقارنه بما جاء فى العهد القديم . لنخرج بالنتيجة وهى أن :

المسيح لم يصلب :

جاء فى إحدى روايات الإنجيل تقول « ثم إذا كان استعداد فلكى لاتبقى الأجساد على الصليب فى السبت لأن يوم ذلك السبت كان عظيما سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويرفعوا . فأتى العسكر وكسروا ساق الأول والآخر المصلوب معه . وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات ... والذى عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم ، لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لايكسر منه »(١) .

وهنا نجد تناقضا واضحا جداً .

فاهم : ماوجه التناقض ؟

محمد : مامعنى الصلب ؟ وكيف ؟

---

(١) إنجيل يوحنا ص ٩ ف ٣١ ، ٣٦ .

فاهم : أن يعلقوه على الصليب .

محمد : كيف يعلقوه على الصليب . وكيف يثبتوه ؟

فاهم : يدقوا فى جسمه المسامير . حتى يثبت على الصليب .

محمد : هل تدق المسامير فى اللحم دون العظم ؟

فاهم : من الجائز .

محمد : أرنى جزءا فى الجسم به لحم دون عظم على شرط أن يمكن تعليقه منه .

فاهم : لا يوجد .

محمد : إذا كسر عظم .

فاهم : ماذا تقصد ؟

محمد : إذا كان المسيح قد صلب فمعنى هذا أن المسامير قد دقت فى لحمه وعظامه ، ولقد ثبت أن الجسم لا يعلق على الصليب بدون سقوط إلا إذا دقت المسامير فى عظام الرسغ .

ومن هنا تكون النتيجة أنه (المسيح) كسر منه عظم ومعنى هذا أن الكتاب لم يتم ، وبهذا يمكن أن نقول : فإما الكتاب أخطأ . وإما المسيح لم يصلب !

إذن فالمسيح لم يصلب . وصدق الله العظيم . .

(وماقتلوه ، وماصلبوه . . .) .

ولو عدنا إلى ماجاء فى التوراة : « بأن أهل أورشليم ستحل عليهم النعمة والتضرعات فيعرفون الذى طعنوه أنه غير المسيح فتفرح قلوبهم بعد الحزن ، ويضحكون ويمرحون بعد النواح والبكاء . وهنا « ينظرون » معناها أنهم سيعرفون . أن العالم سيكتشف فيما بعد من الذى صلبوه ومن الذى طعنوه » (١) وسيتأكدون مصداق قول الله تعالى .

(ولكن شبه لهم . وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقينا) . هذا هو موقف القرآن من المسيح .

فاهم : إلى الليلة القادمة لنتحدث عن تبشير المسيح بمحمد ﷺ .

(١) سفر زكريا ص ١٢ ف ١٠ .

الليلة التاسعة

تبشير المسيح عليه السلام بمحمد عليه الصلاة والسلام

فاهم : بحثنا هذه الليلة حول بشارة المسيح بمحمد عليهما الصلاة والسلام . هل بشر المسيح بمحمد ؟

محمد : نعم . بشر المسيح عليه السلام بمحمد ﷺ .

فاهم : لم نر فى إنجيل من الأناجيل تلك البشارة

محمد : البشارة وردت فى الإنجيل الذى نزل على المسيح . وفى الأناجيل المنسوبة إلى كاتبيها

فاهم : إننا نعرف أن كتب العهد الجديد هى إنجيل يسوع المسيح

محمد : ولا إنجيل من هذه الأناجيل نزل على المسيح ، لأنها ولا غيرها التى احرقت والتى بلغ عددها سبعين إنجيلا ليست منسوبة إلى المسيح ، وإنما هى منسوبة لبعض تلاميذه ومن ينتمى إليهم وهى تشتمل على أخبار المسيح ، ومحاوراته ، وخطبه ، وابتدائه ، ونهايته فى الدنيا كما يزعمون .

فاهم : هل هناك إنجيل غيرها يسمى إنجيل المسيح ، وهل هناك مايدل على ثبوت هذا الإنجيل ؟

إنجيل المسيح :

محمد : نعم هناك إنجيل المسيح نزل . كما أخبرنا القرآن الكريم من ناحية . أما الناحية الأخرى أن الأناجيل التى بين أيدينا تذكر كلمة « إنجيل » أو كلمة « بشارة » وهى « ترجمة لكلمة إنجيل » وهذا الإنجيل نجده مضافاً أحيانا إلى المسيح على أنه ابن الله ، وأحيانا إلى الله ، وأحيانا إلى ملكوت الله .

فاهم : قرأت الأناجيل الأربعة . ولم ألحظ ماتقول . فهل أسمع ؟

محمد : لنرجع إلى إنجيل متى الأصحاح الرابع نجد ما نصه « وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم فى مجامعهم ، ويكرز ببشارة الملكوت(١) ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب » وبشارة الملكوت هى ترجمة « إنجيل باليونانية » .

ثم معى إلى إنجيل مرقس فى الأصحاح الأول منه « وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله (٢)

---

(١) ف ٢٣

(٢) ف ١٤ — ١٥

ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل »(١) .

ولنقرأ فى رسالة بولس إلى أهل رومية . « أولا أشكر إلهى . . . من جهة جميعكم أن إيمانكم ينادى به فى كل العالم . فإن الله الذى أعبده بروحى فى إنجيل إبنه شاهد لى كيف بلا انقطاع أذكركم »(٢) .

وقال فى رسالة (بولس) إلى أهل كورنثوس الأولى « هكذا أيضا أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيش وقال بولس فى نفس رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس « صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء صرت للكل كل شىء لأخلص على كل حال قوما ، وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكا فيه(٣) .

ففى هذا كله نجد كلمة انجيل أو كلمة بشارة وهى « ترجمة كلمة إنجيل باليونانية » مضافة إلى ملكوت الله كما فى إنجيل مرقس ومتى ، وإنجيل الإبن كما فى رساله بولس إلى أهل رومية ، وكلمة الإنجيل بغير إضافة كما فى إنجيل مرقس ورسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى ، ولاشك أن الإنجيل المذكور فى كل هذا ليس واحداً من هذه الأناجيل لأنها

(١) نفس المصدر

(٢) ص ١ ف ٨ — ٩

(٣) ص ٩ ف ١٤

تضاف إلى أصحابها متى ومرقس ولوقا ويوحنا ولأن المسيح قد وعظ بهذا الإنجيل — كما جاء فى إنجيل متى — قبل وجود أى إنجيل من الأناجيل الأربعة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ليس من المعقول أن يعظ المسيح بأقوال تلاميذه وهم بعد لايزالون فى دور التعلم ولأن هذا الإنجيل قد ذكر فى هذه الأناجيل على أنه كان موجوداً فى عهد المسيح ، لأنه ذكر من غير نسبة كما فى إنجيل مرقس ورسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس وليس واحد من هذه الأربعة تنصرف إليه كلمة إنجيل من غير نسبته إلى صاحبه ، ولأنه ذكر فى رسالة بولس إلى أهل رومية منسوبا إلى المسيح الإبن ، وليس واحد من هذه الأربعة يستحق هذا الاسم .

لهذا كله نقول ليس هذا الإنجيل واحداً منها كما تقضى بذلك طبيعية السياق ، وكما يقضى بذلك العقل ، وإذا كان الأمر كذلك ، فهل لنا أن نفهم أن هناك إنجيلا أصيلا نزل على المسيح وكرز به على حد تعبيرهم . ويعتبر الأصل للمسيحية ؟

فاهم : هل تريد إجابة ؟

محمد : نعم . ولكن اكفيك مؤونة الرد ، ونترك لمؤرخى المسيحية الذين لم يقيدهم فى بحثهم إلا العلم والحقائق التاريخية ليصرحوا : بأنه كانت فى القرن الأول المسيحى رسالة تعتبر أصلا لهذه الأناجيل ،

فيها ماجاء به المسيح وخلاصة أحواله ، وهذا ترجمة ماقاله « نارتن » فى كتاب له :

« وقال أكهارون فى كتابه إنه كان فى ابتداء المسيحية فى بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال أنها هى الإنجيل الأصلى ، والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ، ولم يروا أحواله بأعينهم ، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب ، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب » .

من كل هذا نقول أن هناك إنجيلا منزلا على المسيح ، بشر فيه برسول يأتى من بعده اسمه أحمد .

فاهم : ولكن هذه الرسالة أو هذا الإنجيل لا وجود لهما الآن .

محمد : لكن جاء ذكرهما فى انجيلى متى ومرقص ، ورسالتى بولس إلى رومية وأهل كورنثوس الأولى ، وهذه أدلة لاتحتاج إلى مناقشة على أن هناك إنجيل سابق على كل الأناجيل المنسوبة إلى كاتبيها ، ومادام هذا الإنجيل قد ضاع ، فقد غاب ماجاء فيه . إلا أن القرآن قد أشار إلى محتوياته وهى لب دعوة المسيح الحقة وتبشير المسيح بالنبى الآتى بعده واسمه أحمـــد . ويؤيد ذلك ماجاء تلميحا فى إنجيل يوحنا الذى يقول :

« وهذه شهادة يوحنا (المعمدان) حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر وأقر : إنى لست

المسيح ! فسألوه إذا إيليا أنت ؟ فقال لست أنا . النبى أنت ؟ فأجاب .. لا » (١) .

فاهم : ما المقصود من سردك لشهادة يوحنا ؟

محمد : أقصد أن أسألك عن إيليا ، ومتى جاء ؟

فاهم : إلياء كان من أنبياء بنى إسرائيل السابقين على المسيح .

محمد : ورد فى إجابة يوحنا المعمدان (. . . قائلا : أنا أعمدكم بماء ، ولكن فى وسطكم قائم من لستم تعرفونه)(٢) .

فمن هو القائم فى وسطهم الذى يشير إليه يوحنا ؟

فاهم : يسوع المسيح القائم فى وسطهم وليسوا يعرفونه .

محمد: إليا سابق على المسيح . والمسيح واقف فى وسطهم ولا يعرفونه . إذاً فمن هو النبى ؟

فاهم : لم يوضح الإنجيل ذلك .

محمد : بكل وضوح أن النبى هو الذى سيأتى بعد المسيح ، ولم يأت إلا محمد ﷺ .

فاهم ـــ هذا استنتاج

---

(١) إنجيل يوحنا ص ١ ف ١٩ — ٢١ .

(٢) يوحنا ص ١ ف ٢٦ .

محمد — هذا دليل لا استنتاج ، وخاصة أن حجة القائلين بعدم مجىء نبى بعد المسيح ، معتمدين على أن المسيح ابن الله ، ولا يجوز أن يرسل الله بعد إبنه رسولا . وقد سقطت حجة بنوة المسيح لله . وثبت أن المسيح نبى ورسول ، ومادام المسيح نبيا جاء ليكمل ناموس الأنبياء فإن محمداً بعثه الله ليتمم ناموس الأنبياء .

فاهم — المسألة تحتاج إلى وضوح . إذ لم يثبت من كلام يوحنا أن هناك نبى سيجىء بعد المسيح .

محمد — إليك دليل آخر من إنجيل متى : قال المسيح لتلاميذه والجموع :

« اسمعوا مثلا آخر . كان إنسان رب بيت غرس كرماً وأحاطه بسياج ، وحفر فيه معصرة ، وسلمه لكرامين وسافر ، ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذوا ثماره . فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضا ورجموا بعضاً . ثم أرسل عبيداً آخرين أكثر من الأولين ، ففعلوا كذلك وأخيرا أرسل ابنه قائلا يهابون إبنى — وأما الكرامون فلما رأوا الإبن قالوا فيما بينهم هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ؟

قالوا له أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها . قال لهم يسوع أما قرأتم فى الكتب

الحجر الذى رفضه البناءون وهو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب ، كان هذا عجيبا فى أعيننا ! لذلك أقول لكم إن ملكوت السموات ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل ثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط عليه يسحقه »(١) .

فاهم — إن هذا المثل يقصد به السيد المسيح عليه السلام الإشارة إلى اليهود الذين قتلوا الأنبيـاء ورجموا المرسلين وقبضوا على المسيح .

محمد — إذاً من رب البيت ؟

فاهم — الله

محمد — من هم العبيد ؟

فاهم — هم الأنبياء الذين أرسلهم الله لليهود فقتلوهم وجلدوهم ورجموهم حتى أن المسيح خاطب أورشليم قائلا : « يا أورشليم: يا أورشليم . يا قاتلة الأنبياء وراجمة والمرسلين . . . . » .

محمد — من هو الإبن الذى أخرجه الكرامون خارج الكرم ليقتلوه وقتلوه ؟ .

فاهم — المسيح كان يشير إلى نفسه إلى أنهم سيقبضون عليه ويصلبوه فى مكان يسمى الجمجمة .

---

(١) إنجيل متى ص ٢١ ف ٣٣ — ٤٦

محمد — وما دام العبيد قتلوا أى الأنبياء قتلهم بنو إسرائيل ، وصلبوا الإبن المسيح (كما يزعمون) فمن هو الحجر رأس الزاوية ، ومن هى الأمة التى تعمل ثماره .

فاهم — اعتقد أنه المسيح والأمة المسيحية .

محمد — كيف يكون المسيح . والمسيح سيقتل أو يصلب . كما يزعمون. إذاً الأمر غير ما تقول . لأن المتحدث هو المسيح ، ويتنبأ بأنه سيقبض عليه ويقتل على خشبة الصليب كما جاء فى الأناجيل الأربعه ؟

فاهم — قلت رأيى . فما هو رأيك ؟

محمد — أرى والأمر واضح . أن المسيح يبشر بنبى سيأتى بعده من يعاديه يسحق ويؤذى ، إذاً فالحجر رأس الزاوية الذى رفضه اليهود والنصارى الذين هم إيمانهم ضعيف والوثنيون ، وسيقف الكل منه موقف عداء شـــديد ولكنه سينتصر عليهم ويولون الدبر .

فاهم — إذا من هو النبى ؟

محمد — النبى ﷺ الذى قال له ربه « إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن أصحاب الجحيم . ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد

الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير »(١) .

وهنا يكون النبى الحجر رأس الزاوية والذى نصره الله عليهم نصراً مؤزراً تحطمت به الوثنية ، وجثت تحت أقدامه عروش الطغيان ، وبه تمت الرسالة ، وتم بناء الأنبياء ، وبه تم الناموس . ففى حديث شريف قاله محمد ﷺ خاتم الأنبياء : (مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فحسنه وجمله إلا موضع لبنة فجعل الناس ينظرون إليها ، وقالوا : لو أنها وضعت : فأنا تلك اللبنة)(٢) .

واللبنه هنا تعنى الحجر الذى يتم به البناء ، وبغيره البناء يكون ناقصاً . وبه يكون البناء كاملا وجميلا وتاماً . هذا هو بناء الأنبياء الذى أتمه محمد (الحجر رأس الزاوية) .

فاهم — مادام محمد هو « الحجر رأس الزاوية » إذاً فأمته هى التى ستعطى ملكوت السموات وتعمل ثماره فما هى تلك الثمار التى عملتها أمة محمد ؟

محمد — أمة محمد بشهادة الله عملها عمل الجنة والملكوت لأنها خير أمة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله(٣) .

(١) سورة البقرة ١١٩ — ١٢٠
(٢) حديث متفق عليه
٣) سورة آل عمران ١١٠

وبهذه الخيرية الممنوحة لأمة محمد ﷺ تكون الأمة الرشيدة بتتمة دينها وإيمانها قال تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (١) .

فاهم : ماذا تقصد بتتمة دينها ؟

محمد : أى يكون دينها تمام الأديان ، والنبى الذى بعث فيها خاتم النبيين وبهذا يتم الكل الذى أشار إليه المسيح فى حديثه لتلاميذه « لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ماجئت لأنقض بل لأكمل . فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » (٢) .

فاهم : ماصلة قول المسيح (حتى يكون الكل) بدين محمد ؟

محمد : صلة كبيرة يمكن إيضاحها فى الحديث عن :

الناموس المتمم :

فاهم : حدثنا عن الناموس المتمم .

محمد : بدأ الناموس بإبراهيم ثم من بعده ناموس الأنبياء حتى الناموس الذى نزل به موسى . كان تنظيما لشعب مهاجر من أرض مصر ،

(١) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(٢) انجيل متى ص ٥ ف ١٧ ، ١٨ .

وكان هذا الناموس وقفاً على هذا الشعب ملائما لطبيعته المادية التى جبل عليها مما جعله غير كفيل بالتعميم ، كما كان يميل إلى التنظيم الدنيوى إلا قليلا من الوصايا التى توجه إلى الله وإلى الحياة الأخرى . مما حدا باليهود بالانحراف والانكباب على الدنيا انكبابا جعلهم لايفرقون بين الحلال والحرام . بل كان كل همهم إرضاء الشهوات بجمع المال مما ربى فيهم الأثرة والأنانية وحب الذات وعبادة الملذات التى أنستهم المثل والقيم التى احتوتها الوصايا العشر . فنسوا الله فأنساهم أنفسهم .

مما دعا الله أن يرسل ناموسا مكملا هو ناموس المسيح عيسى الذى جاء ليكمل لشريعة موسى والأنبياء من قبل ، فدعا إلى الروحانية المطلقة ، مما كانت رسالة المسيح معه داعية إلى الصفاء ، والرحمة واللين والتسامح والزهد . وكان من أهم أهدافها التهذيب الروحى ، والتطهير الوجدانى ، ومحاربة الطقوس الجامدة والمظاهر الخاوية فى شعائر اليهود ورد الروح والحياة إلى الضمير الإسرائيلى وبذلك تركت المسيحية :

« ماقيصر لقيصر وما لله لله » ، وصيغت على أساس أن الدين صلة بين العبد وربه . وأن القانون صلة بين الفرد والدولة .

ومن هنا كانت العزلة بين الدين والدنيا فى حياة كل من اليهود

الذين أخلدوا إلى الأرض واتبعوا هواهم ، والمسيحيين الذين تركوا كل شيء عن المادية في تعاليمهم ، بل إلى تحقير الحياة .

ولكن الحقيقة الواقعة تقول بأن طبائع البشر تخالف ذلك تماماً ، ودليل ذلك أن المسيحي كلما تطورت به الحياة لجأ إلى مخالفة تعاليم الزهد ، وتحقير المال، والاستمرار في الانقطاع للعبادة . وكذلك اليهودي لايستطيع حياة الانكباب على المال، مما يجعله في بعض الأحيان متخفيا وراء الطقوس والشعائر والتعاليم الدينيـــة مرائياً منافقاً كذاباً مخادعا .

ذلك لأن الحياة لاتستقيم حياة طيبة في هذه الدنيا إلا بالدافع الروحي الذي يشمل النفع الدنيوي. أي يكون العمل الدنيوي موجها لله وحين يوجه العمل لله يكون خيرا للفرد والجماعة .

ولهذا كانت الأرض محتاجة لناموس متمم ، فيرسل الله محمدا عليه الصلاة والسلام . ويأتيه الملك بوحي السماء أن «اقرأ باسم ربك» تنص على أن القراءة: لاتكون باسم وزير، ولا باسم أمير، ولا باسم منفعة شخصية ، ولا باسم مصلحة إقليمية ، ولا باسم غاية مادية أيا كانت ، ولا باسم وطن أو بيئة ، وإذا كانت باسم الله فإنها تفيد الشخص باعتباره فرداً وتفيد المجتمع الخاص الذي نسميه « وطناً » وتفيد المجتمع العام والإنسانية جمعاء .

وإذا ماتجردت القراءة لله تعالى، وكان هدفها الأول والأخير هو:

الله مصدر الخير والنور كانت خيرا وكانت نورا في جميع الأرجاء وفي جميع الأزمان . وما كان القرآن يقصد بهذه الكلمة القراءة فحسب ، وإنما كانت القراءة رمزاً لكل مايأتيه الإنسان في الجانب الإيجابي .

إن هذه الكلمة الأولى تريد أن تقول : « اقرأ باسم ربك ، تحرك باسم ربك ، تكلم باسم ربك اعمل باسم ربك . . . . أما إذا امتنعت عن حركة أو فعل فينبغي أن يكون ذلك أيضا باسم ربك . ويكون معنى الآية في النهاية : جرد حياتك كلها وكيانك : أو أسبابا وغايات لله سبحانه وتعالى » .

وهكذا يضعنا الإسلام منذ « اقرأ با سم ربك » : أي منذ اللحظة الأولى من تاريخه ، على قمة الإخلاص وعلى قمة الاحسان ، وفي خضم من التقوى ، وعلى السنام من الصدق ، فما دامت الحياة كلها لله ، فليس هناك مجال للكذب ، والرياء ، والنفاق ، والخديعة ، وإرادة غير الله بالأعمال .

فاليهودية فصلت بين القيم الروحية والقيم المادية ، فأهملوا الروح ونبذوا كل مايتصل بها من قيم ، فنشطوا نشاطا جماً في عالم المادة وعالم الجسد ، ولكنهم لفقرهم الروحي انقلبوا يتقاتلون ويتنابذون ، فلم يعودوا يعرفون الراحة ولم يعودوا يعرفون السلام .

والمسيحيون فصلوا بين القيم الروحيه والقيم المادية ، فأهملوا الجسد واحتقروه ونبـــذوه ، لأن التعاليم المسيحية كبتت نوازع الجسد

وضروراته . ونشأ من ذلك اختلال فى الحياة ، فرانت السلبية على النفوس ، مما أخر المجتمع عن التقدم والانطلاق ، وكان أثر ذلك قيام الثورات فى أوربا على الكنيسة ، وفى الشرق أهملت الحياة الروحية إلا النذر القليل ، وجروا وراء الحياة الدنيوية .

والإسلام - كلمة الله إلى الأرض - هو وحده الذى تمشى مع الفطرة البشرية كما خلقها الله ، ولأنه الناموس المتمم ، كان النظام الذى يربط بين كل ألوان النشاط البشرى ، ويوحد بينها فى الاتجاه ويربط بين الروح والجسد ويوحد بينهما فى كل مايصدر عنهما من مشاعر وأفكار وأعمال . فجمع بين ما أتت به اليهودية وماشرعته المسيحية بدون انفصال ودون خلل ، ودون محاباة .

الطعام يشترك فيه الروح والجسد :

فاهم — وكيف وحد الإسلام بين مطالب الروح ومطالب الجسد فى الطعام مع أن الطعام مطلب الجسد فقط دون مطلب الروح .

محمد : الطعام يشترك فيه الروح والجسد: الإسلام أباح الطعام والشراب . غذاء للجسد من أى لون ، قال تعالى «قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق» . وتتحد فيه مطالب الجسد ومطالب الروح حين يكون الطعام باسم الله ، ويقصد الإعانة على طاعة الله ويكون للطعام قيم روحية ومادية ، وتتجلى هذه القيم فى تعاليم الإسلام .

فالطعام ينبغى أن يكون من حلال (يا أيها الناس كلوا مما فى

الأرض حلالا طيباً) (١) .

(وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً) (٢) .

وبهذا يصبح الطعام مسألة يشترك فيها الجسد والروح .

الجنس عمل جسدى وروحى :

فاهم : كيف يكون الجنس روحيا مع أنه مطلب الجسد ولذائذه ؟

محمد : إن الجنس وسيلة لهدف هو النسل ، وليس هدفا فى ذاته كما بينه القرآن الكريم (نساؤكم حرث لكم) (٣) والإشارة فى الحرث واضحة إلى البذرة والإنبات أى النسل والعفة عن الحرام .

وكذلك فهو علاقة روحانية وجدانية إلى كونه علاقة جسدية (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) (٤) .

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) (٥) .

وبهذا يصبح الجنس نشاطاً روحيا جسديا .

---

(١) سورة المائدة آية ٨٨ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٤ .

(٣) سورة البقرة آية ١٨٧ .

(٤) سورة الروم آية ٢١ .

(٥) سورة البقرة آية ١٦٨ .

ومن هنا جعل الإسلام جميع ألوان النشاط البشرى فى الحياة ممتزجة مترابطة ، إن العمل والعبـــادة أمران مرتبطان يشترك فيهما الروح والجسد . وبهذا (يكون الـكل) .

والـكل هذا بعث به محمد ﷺ ، بعث بالناموس المتمم ، أى بالشريعة الجامعة والنعمة التمام ، وتمام النعمة لن يكون إلا بدين الإسلام . وصدق الله العظيم .

(اليوم أكملت لـكم دينـكم ، وأتممت عليـكم نعمتى ورضيت لـكم الإسلام دينا)(٢) .

ما كان محمد أبا أحد من رجالـكم ولـكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليماً(٣) .

محمد ﷺ : روح الحق المعزى :

محمد ﷺ . الـكل . وهوخاتم النبيين وهو المعزى للبشرية الذى قال عنه المسيح عليه السلام . مخاطباً قومه : « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمـكث معكم . . روح الحق الذى لايستطيع العالم أن يقبله لأنه لايعرفه » .

---

(١) سورة المائدة ٣
(٢) سورة الأحزاب ٤٠ .
(٣) يوحنا ص ١٤ ف ١٥ — ١٧

« بهذا أكلمـكم وأنا عندكم . وأما المعزى الروح القدس فهو يعلمـكم كل شىء ويذ كركم بكل ماقلته »(١) .

فاهم — وهل ذ كرنا محمد بما قاله المسيح ؟

محمد — نعم وذ كركم . ولازال يذكركم بما قاله المسيح . ويكفى أن القرآن قال ، ولا يزال الله قائلا عليما على لسان المسيح عليه السلام : (ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد)(٢) .

فاهم — ألا يمـكن أن نقول أن المعزى هو كلام المسيح ؟

محمد — المعزى سيأتى بعد المسيح وذلك يمـكن أن تفهمه من كلام المسيح :

(أما الآن فأنا ماض إلى الذى أرسلنى . فليس أحد يسألنى أين تمضى ؟ ولـكن لأنى قلت هذا قدملأ الحزن قلوبكم ، ولـكن أقول لـكم الحق إنه خير لـكم أن انطلق . لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ولـكن إذا ذهبت أرسله لـكم إنى لى أموراً كثيرة أيضا لأقول لـكم ولـكن لاتستطيعون أن تحتملوا الآن . . . .

---

(١) انجيل يوحنا ص ٤ ف ٢٥ — ٢٦
(٢) سورة المائدة ١١٧

وأما متى جاء روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لايتكلم من نفسه . . . .

بل كل مايسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية(١) .

وهنا يمكن أن نسأل . من هو روح الحق المعزى الذى سيأتى بعد المسيح ؟

هو ماحكى الله عنه على لسان المسيح (وإذ قال عيسى ابن مريم : يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد(٢) .

فهو الذى يرشدكم إلى جميع الحق(والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم(٣) .

لأنه لايتكلم من نفسه . بل كل مايسمع يتكلم (وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ماأوحى)(٤) .

---

(١) إنجيل يوحنا ص ١٦ ف ٥ — ١٣

(٢) سورة الصف ٦

(٣) سورة محمد ٢

(٤) سورة النجم ٣ — ١٠

هذا هو محمد الذى بشر به المسيح عليه السلام . فى الأناجيل . فعلى المسيح ابن الإنسان السلام . وعلى أخيه خاتم النبيين أفضل الصلاة وأزكى السلام .

فاهم — إلى الليلة القادمة لنتحدث عن تحرير الضمير الإنسانى فى المسيحية والإسلام .

محمد — إلى الليلة القادمة بإذن الله .

الليلة العاشرة

تحرير الضمير الإنسانى

فى المسيحية والإسلام

فاهم : حين جاء المسيح كان الضمير الإنسانى مكبلا بقيود وأغلال كبله بها الأحبار اليهود ، كبلوه بقيود الطقوس الدينية مدفوعة الثمن ، إذ كان الإنسان لا ينـال السكينة أو الطمئنينة أو المغفرة إلا بأجر ، وكل عطاء دينى كان له ثمنه ، دخول الهيكل بثمن ، التماس البركة ، والصلاة للرب بثمن .

محمد : إن بعض الكنائس ورثت هذا عن اليهود . إذ أن الصلاة على الميت يأخذ عنها القسيس ثمنا ، وفتح الكنيسة فى الثالث (أى بعد ثلاثة أيام من وفاة الميت) لها ثمن ، والصلاة فى الأربعين بثمن والقنديل بثمن ، حتى قرابين البركة بثمن ، والتعميد (أى التعميد للأطفال) بثمن ، وكذلك التوبة لاتصح إلا بالمناولة .

فاهم : ماذا تقصد بالمناولة ؟

محمد : أقصد أن التوبة لاتصح إلا بعد الاعتراف بالذنب على يد الكاهن ، ثم تناول بعضا من الخبز بلا خمير (أى لقمة القربان) وقليل

من الخمر ، والقربان يرمز إلى جسد المسيح ، والخمر يرمز إلى دم المسيح . حتى أن القسيس وهو يصلى فى القداس يقول : إن المسيح أخذ خبزا وقدسه وباركه وكسره وأعطاه لخواص تلاميذه الأطهار قائلا خذوا هذا جسدى الذى يقسم عنكم وعن كثيرين ويعطى لمغفرة الخطايا ، وأخذ الكأس وقدسه وباركه وأعطاه لتلاميذه الأطهار قائلا هذا دمى الذى يسفك للعهـد الجديد ويعطى لمغفرة الخطايا .

فاهم : هذا ورد فى جميع الأناجيل . وذلك أنه ليلة العشاء السرى الذى اجتمع فيها مع تلاميذه ليلة العشاء « وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى . وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا أشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا »(١) .

محمد : إذا التوبة فى المسيحية مشروطة بالاعتراف على يد كاهن الكنيسة وتناول الخبز والخمر . وهذا مايحرج المذنب وخاصة إذا كان المذنب أنثى ، وأخطأت خطيئة تخدش الحياء العام .

(١) إنجيل متى ص ٢٦ ف ٣٦ ، ٣٨ .

فام : هذه تعاليم الكتب التى بين يدى المسيحى . وربما كان فى ذلك ردعاً للذنب . إذ أنه متى عرف أنه سيعترف ويكشف سره للكاهن يكف عن الذنب . وإلا عاش دون أن يعترف، وعاش ضميره يؤنبه ، وكلما تذكر أنه مذنب زاد وخز الضمير .

محمد : وربما كان العكس . وهذا هو الغالب ، إذ أن الضمير الإنسانى يموت بالذنب الذى لا مغفرة له، ويفقد الإنسان الأمل،وعندما يفقد الأمل ، وأنه معرض لا محالة للعذاب فى الآخرة يستمر فى ارتكاب الذنوب .

ولهذا كان للإسلام منهج واضح ، وسبيل معلوم ، وهذا المنهج يتمثل فى إدراك الحق ، وفعل الخير ، وذلك كفيل بأن يصل بالإنسان إلى الذروة والرفعة ، ويجعله جديرا بالخلافة عن الله فى الأرض . إلا أن الإنسان كثيرا مايضل عن الطريق المرسوم، وينحرف عنه بسبب الجهالة ، أو يتأثر بالبيئة ، أو تحت ضغط شهوة جامحة ، أو استجابة لإغراء عابث . وهذا الانحراف يهبط بالمستوى الإنسانى ، ويحول بينه وبين التطهير والتسامى ، فتسقط قيمته ، ويرذل قدره ، وينحط إلى الدرك الذى يعوقه عن النهوض بتبعات الحق والخير .

وحين يصل المرء إلى هذا المستوى لاتكون له رسالة سامية ، ولا هدف كريم ، ولا مثل أعلى ، وإنما تتجه جميع قواه إلى تحقيق

ذاتيته ، وإشباع غرائزه ، وإيثار مصالحه الخاصة ، وتنكره للمصالح العامة .

ويوم أن تخلو الدنيا من الضمائر والمثل العليا ، تتحول الحياة إلى صراع يكون أشد هولا ، وأبعد أثراً من صراع الحيوانات المفترسة.

ومن ثم فإن الإسلام وضع فى الحسبان ، أنه قد يحدث أن الإنسان يضعف ساعة يغفو فيها ضميره ، وتنام فيه قواه الروحية بينما تكون غرائزه مشبوبة الأوار ، فيعمى عن هدفه ، ويسقط صريع الهوى والشهوة ، فيقال له لا عليك ... فإنك لم تخلق ملكا مطهرا، ولا بشرا معصوما ، وإنما أنت إنسان تتنازعك قوى الخير والشر ، وتتغلب عليك طبيعتك الروحية أحيانا فتسمو وترتفع ، وأحيانا أخرى تتغلب عليك شهوات الجسد فتخلد إلى الأرض وترد إلى أسفل سافلين .

وإنما عليك أن تصحح أخطاءك إذا أخطأت . وتستأنف السير من جديد ، يقول الرسول ﷺ « كل ابن آدم خطاء . وخير الخطائين التوابون » (١) . « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار . ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل . حتى تطلع الشمس من مغربها » (٢) .

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم عن أنس .

(٢) رواه مسلم والنسائى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه .

وبهذا تقل الأخطاء ، وتعود للضمير قوته ، وللقلب سلامته ، فتنتصر قوى الروح على نوازع الجسد .

فاهم : هذا هو توجيه يسوع المسيح ، الذى يدعو الخطاة للتوبة، وإذا ماعرف الإنسان أن ربه غفور رحيم ، يقبل توبة التائب ، فإنه يكسر قيود اليأس ، ويقبل إلى ربه حر الضمير، طاهرالوجدان ، فقد قـــدم الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت فى زنا ، فأقاموها فى الوسط . وقالوا له يامعلم هذه المرأة أمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل ، وموسى فى الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم فماذا تقول أنت ؟ . . . ولما استمروا يسألونه . انتصب وقال لهم « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر ، وأما هم فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تبكتهم وخرجوا . . . وبقى يسوع وحده فقال لها : ياامرأة . . . أما أدانك أحد ؟ فقالت لا أحد ياسيد . فقال لها يسوع : وأنا لا أدينك اذهبى ولا تخطىء أيضا »(١).

محمد : إن الله سبحانه ، يعلم طبيعة الضعف الإنسانى فلم يكلفه العصمة، لأن التكليف بها تكليف بما لايطاق ، قال تعالى (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) (٢) وإنما كلفه أن يفر إليه كلما فر منه ،

---

(١) إنجيل يوحنا ص ٨ ف ٣ ، ١١ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

وأن يتطهر من الدنس كلما تورط فى الإثم وآدم عليه السلام أبو البشر هو القدوة والمثل قال تعالى : (وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى(١) ثم قال : (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم)(٢) . وهذه هى الكلمات التى تلقاها آدم من ربه : (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)(٣) .

فاهم — إن منهج يسوع المسيح يفتح الباب أمام الخطاة . ليتوبوا إلى ربهم ويؤوبوا إلى رشدهم ، وخاصة جاء ليعالج أمراض الروح والجسد . وذلك فى قوله « لايحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى . لم آت لأدعو أبرارا إلى التوبة . بل خطاة إلى التوبة(٤) . وبهذا المنهج ينتصر الضمير الإنسانى ، وينتصر الإنسان على نفسه بسلاح التحرر من الخطيئة . ويكسب نفسه . قال يسوع المسيح « ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وأهلك نفسه أوخسرها »(٥) .

---

(١) سورة طه ١٢١

(٢) سورة البقرة ٣٧

(٣) سورة الأعراف ٢٣

(٤) إنجيل لوقا ص ٥ ف ٣١ — ٣٢

(٥) إنجيل لوقا ص ٩ ف ٢٥

محمد — وكثيراً مايفتح الإسلام باب الأمل والرجاء ، ويدعو العصاة إلى التوبة والاستغفار ، وأنه سبحانه يغفرلهم مادعوه ورجوه ، مهما عظم الجرم وكبر الإثم ، قال تعالى :

(قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم)(١) . ويقول تعالى :

(ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما)(٢) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله تعالى : (يا ابن آدم إنك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولاأبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى . غفرت لك ولا أبالى . . . يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)(٣) .

قاهم — من منطلق الأمل ، ورحمة الانسان ، وحتى يقبل الخطاة على الله . نذكر هذا المثال الذى ضربه يسوع المسيح إذ ورد : « وسأله واحد الفرسيين أن يأكل معه . فدخل بيت

(١) سورة الزمر : ٥٣

(٢) سورة النساء : ١١٠

(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح

الفريسى فاتكا ، وإذا امرأة خاطئة إذعلمت أنه يتكىء فى بيت الفريسى . جاءت بقرورة طيب . . . ووقفت عند قدميه من ورائه باكية فابتدأت تبل قدميه بالدموع وتمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب . . . فلما رأى الفريسى الذى دعاه . . . تكلم فى نفسه قائلا : لو كان هذا نبياً لعلم من هذه المرأة التى تلمسه وماهى ؟ إنها خاطئة ! فأجاب يسوع وقال له ياسمعان (أحد تلاميذه) : عندى شىء أقوله لك . فقال : قل يامعلم . فقال : كان لمداين مديونان على أحدهما خمسمائة دينار ، وعلى الآخر خمسين . وإن لم يكن لهما مايوفيان ، سامحهما جميعاً ، فقل أيهما يكون أكثر حباً له ؟ فأجاب سمعان أظن أن الذى سامحه بالأكثر . فقال يسوع : بالصواب حكمت ، ثم التفت إلى المرأه . . وقال لها مغفورة لك خطاياك . وقال لها : قد خلصك إيمانك اذهبى بسلام »(١) .

محمد — إن التوبة لاتحتاج إلى اعتراف فى المسيحية ولا إلى شيخ فى الإسلام ولا إلى الذهاب إلى أى مكان ، وإنما هى يقظة نفسية ، واستشعار بالانحراف عن المنهج السوى ، ومحاولة العودة إليه ، والثبات عليه وكلما تيقظ الضمير ، وفطنت النفس إلى مايجب أن تكون عليه ، وحاولت الإصلاح . إصلاح الخطأ الذى وقعت فيه ، كان ذلك

(١) إنجيل لوقا ص ٧ ف ٣٦ — ٥٠

توبة يفرح الله بها ويغفر الذنب من أجلها يقول الله سبحانه :

(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين)(١) .

فالآية تقرر : أن الله سبحانه يغفر للذين يقترفون ماتعاظم قبحه ، أو يظلمون أنفسهم ، بفعل ماينقصها مما يتنافى مع سموها ـ إذا ذكروا الله ، وذكروا أنهم ماقدروه حق قدره إذ قصروا فى حقه ، وفرطوا فى جنبه ، فسهم الألم اللاذع ، والحزن العميق ، فهرعوا إلى الإنابة والاستغفار ورجعوا إلى إصلاح أخطائهم من قريب ، فذلك دليل صحة النفس . وحياة القلب والضمير . أما الإصرار على الإثم ، والتمادى فيه فهو مظهر الفراغ الروحى ، والموت الأدبى ، للذين يرتكبون كبائر الإثم والفواحش ، وهم لهذا قلما يشعرون بالألم الباعث على الندم . ولهذا كان الإصرار من صفات الكافرين . يقول تعالى فى سورة الواقعة :

(إنهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم)(٢)

(١) سورة آل عمران ١٣٦

(٢) سورة الواقعة ٤٥ ، ٤٦

وقد شرط الله سبحانه فى قبول التوبة أن تكون من قريب ، وهو مثل شرط عدم الإصرار . فقال :

(إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب(١) فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما)(٢) .

فاهم ـ علمنا يسوع المسيح أن الله يفرح بتوبة العبد المنيب إليه العائد إلى رحابه فقد قال يسوع المسيح « ماذا تظنون إن كان للإنسان مئة خروف وضل واحد منها ، أفلا يترك التسعة والتسعين على الجبال ويذهب بطلب الضال وإن اتفق أن يجده . فالحق أقول لكم إنه يفرح به أكثر من التسعة والتسعين التى لم تضل هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذى فى السموات أن يهلك هؤلاء الصغار »(٣) .

محمد ـ إن الإسلام قد عنى عناية تامة ببناء الأمل والرجاء فى نفس العبد المذنب حتى يعود إلى ربه . فقد قال رسول الله ﷺ :

(لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد

(١) أى بعد مباشرة الذنب

(٢) سورة النساء آية ١٧

(٣) إنجيل متى ص ١٨ ف ١٢ — ١٤

أضله(١) بأرض فلاه)(٢) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ : فيما يحكيه عن ربه تبارك وتعالى : (أذنب عبد ذنبا ، فقال اللهم أغفر لى ذنبي . فقال الله تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنبا ، فعلم أن له ربا يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب . ثم عاد فأذنب ، فقال : أى رب اغفرلى ذنبي . فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب . ثم عاد فأذنب فقال : أى رب اغفرلى ذنبي . فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنباً ، فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، قد غفرت لعبدى . فليفعل ماشاء)(٣) .

على أن حسن الظن بالله ، مما يجمل بالمسلم أن يتصف به ـ فقد روى أبو هريرة عن النبي صلوات الله وسلامه عن ربه عز وجل (أنا عند ظن عبدى بى)(٤) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه . أن النبى صلوات الله وسلامه عليه قال :

---

(١) أى وجد بعيره بعد أن فقده فى الصحراء.

(٢) رواه البخارى عن أنس

(٣) رواه البخارى ومسلم

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(حسن الظن من حسن العبادة)(١) لأنه ظن بربه ماهو أهل له من الخير (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) وروى البخارى ومسلم : عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

قدم على رسول الله ﷺ سبي . فإذا امرأة من السبي تبحث عن صبيها . وكان ضائعاً ـ فلما وجدته أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته : فقال لنا رسول الله ﷺ (أترون هذه طارحة ولدها فى النار ؟ قلنا : لا والله . وهى تصر ألا تطرحه ، فقال . الله أرحم بعباده من هذه بولدها) .

فاهم — إن الله دائماً يدعونا إلى التوبة فى كل وقت . ولا زال صوت السيد يسوع المسيح يرن فى أذن كل حى « تعالوا إلى ياجميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم)(٢) أى يامن ثقلت كواهلكم بأحمال الذنب والخطيئة . وضمائركم تئن بالذنوب تعالوا إلى وأنا استغفر لكم واريحكم بالمغفرة

محمد — إن الإسلام جعل طريق التوبة . هو طريق الحياة ، ولهذا جعل المبادرة إلى العمل الصالح ، وفعل الحسنات تمحو السيئات ، كما يمحو ضوء الشمس ظلام الليل . وإذا اقترن العمل بعمق الإخلاص ،

---

(١) رواه أبو داود

(٢) متى ص ١١ ف ٢٨

وقوة اليقين ، كان أذكى للنفس ، وأبقى وأطهر وكانت المغفرة ماحقة للذنوب جميعاً : ومن ثم كانت التوبة دائماً مقترنة بالعمل الطيب .

(كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم (١) . « وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى)(٢) .

(ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) (٣) .

« والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة يخلد فيه مهانا . إلا من تاب وآمن وعمل عملا(٤) صالحاً . فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما . ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متابا)(٥) .

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٤

(٢) سورة طه آية ٨٢

(٣) سورة النحل آية ١١٩

(٤) أى أن الله يمحو سيئاتهم التى فعلوها بالتوبة ويوفقهم للأعمال الصالحة التى يكافئهم الله عليها بالحسنات التى تحل محل السيئات الممحوة

(٥) سورة الفرقان ٦٨ — ٧١

ومن الأعمال المكفرة ، للذنوب حسن الخلق والسماحة ، وبشاشة الوجه ، والصفح عن الإساءة ، كل ذلك مكفر للذنوب . قال رسول الله ﷺ : (رحم الله رجلا سمحاً إذ باع ، وإذا اشترى ، وإذا اقتضى)(١) . وقال ﷺ (تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم فقالوا له : أعملت من الخير شيئاً ؟ قال كنت أنظر الموسر(٢) ، وأتجاوز عن المعسر . فتجاوز الله عنه)(٣) .

ويقول سبحانه وتعالى (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم)(٤) .

فاهم — إن الكرم الإلهى أوجب علينا أن نغفر للناس زلاتهم معنا كما يغفر لنا زلاتنا وهذا ماعلمه يسوع لتلاميذه ، وعلمنا نحن أيضا أن نقول فى صلاتنا « واغفر لنا كما نحن نغفر لمن أخطأ إلينا » وحين تقدم بطرس وسأل يسوع المسيح : كم مرة يخطىء إلى أخى وأنا اغفر له ؟ هل إلى سبع مرات ؟ فقال له يسوع « لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين سبع مرات»(٥).

---

(١) رواه البخارى

(٢) أى تأنى عليه

(٣) رواه البخارى

(٤) سورة النور

(٥) انجيل متى ص ١٨ ف ٢١ — ٢٢

محمد — إن الضمير يوقظه العفو ، ويجعله فى صحة وجدانية ، وبالتسامح والصفح ، ينتشر الصفاء الروحى والحب الإلهى ، والإخاء والصفاء البشرى ، بل بهذا كله تقوى الارادة وتشتد العزيمة . ويسود الود المتبادل بين الناس ولذلك يقول الله تعالى :

(ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور)(١) .

فاهم — إن يسوع المسيح أمر بالتسامح مع الأحباب والأعداء ، والصفح عن المسيئين ، تسامحاً لو طبقه الناس لذهبت العداوات وحل السلام والوئام محل الخصام ، وتلاشت الحروب وعم السلام العالم : فقال : « سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم ويطردوكم »(٢) .

محمد — إن ما عنى به الاسلام من أجل السلام ، سلام الانسان ، وسلامة ضميره لأن الضمير المبرأ من الأمراض ، يبذل السلام ، للمؤمن وغير المؤمن ، حتى تحيا البشرية فى تآلف وتعاون ، مهما اختلفت الأديان أو الجنسيات ، والألوان ، واللغات قال تعالى :

(١) سورة الشورى آية ٤٣
(٢) انجيل متى ص ٥ ف ٤٣ — ٤٤

(وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون . فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون)(١) .

وتدعيما لسلام عام يعم العالم كله . وتربية الضمير الذى يعبر عن سماحة الاسلام الذى شرع معاهدة اليهودى والمسيحى وأجار المشرك قال تعالى : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا »(٢) وقال « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع . كلام الله ثم أبلغه مأمنه »(٣) وبالجملة فقد قال الله سبحانه : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)(٤) .

وليست الأعمال الصالحة المزكية للنفس وحدها هى التى تمحو السيئات ، بل إن اجتناب كبائر الاثم يكفر الصغائر ، ويذهب بها . ولا يشترط لذلك توبة . يقول الله سبحانه .

(إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما)(٥) .

والكبائر هى الذنوب ، التى جعل الله عقوبتها حدا ، أو توعدا

(١) سورة الزخرف ٨٩
(٢) سورة الإسراء ٣٤
(٣) سورة التوبة ٦
(٤) سورة فصلت ٣٤ — ٣٥
(٥) سورة النساء ٣١

عليها بالنار ، أو لعن فاعلها ، أو سماها الشرع كبيرة . وهى لا تغفر إلا بالتوبة النصوح و التى أمر الله بها فى قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار)(١) .

والتوبة النصوح : تنتظم الألم والندم على ما مضى ، والإقلاع عن الذنب فى الحاضر ، والعزم الأكيد على استئناف حياة صالحة فيما يستقبل من الزمان ، فإن كان ثمة حقوق للعباد وجب ردها إلى أصحابها ، أو استحلالهم منها إن أمكن

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال : واذنوباه . واذنوباه . فقال الرسول ﷺ : قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى ، ورحمتك أرجى عندى من عملى فقالها ، ثم قال : عد فعاد ثم قال : عد فعاد : ثم قال : قم فقد غفر الله لك) :

فاهم — إن الانسان لن يستيقظ ضميره إلا إذا تاب من كل ذنوبه وآثامه : وإذا ما استيقظ ضميره عرف ربه ، وإذا ما عرف ربه ، أصبح ربه قبلة دعائه . يسأله الرزق الوفير ، ويسأله الخيرات ، إذ أنه يؤمن أنه الرحمن الرحيم المعطى الكريم الذى لا تنفد خزائنه بكثرة العطاء ، وهذا ما وجه إليه يسوع المسيح فى قوله :

(١) سورة التحريم : ٨

« من منكم وهو أب يسأله ابنه خبزاً فيعطيه حجراً ، أو سمكة فيعطيه حية أو بيضة فيعطيه عقرباً . فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة ، فكم بالحرى أبوكم الذى فى السموات يهب خيرات للذين يسألونه »(١) .

محمد — إن دعوة محمد ﷺ عليهم كانت إيقاظ الناس من غفلاتهم ، وتوجيههم إلى خالقهم ورازقهم ومعطيهم الخيرات . ويعلم الحيارى أن يتجهوا إليه وحده لا يشركون به أحداً ولا يسألون غيره . فيقول صلوات الله عليه (إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله) ونزل عليه قول الله تبارك وتعالى : « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين . وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به . من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم »(٢) .

الله الذى يقبل الدعاء ويدعو خلقه ليدعوه «ادعونى استجب لكم»(٣)

وهو سبحانه : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون »(٤) .

(١) انجيل متى

(٢) سورة يونس ١٠٦ — ١٠٧ (٣) سورة غافر ٦

(٤) سورة البقرة ١٨٦

نعم سبحانه وتعالى « الله لا إله إلا هو الحى القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم له مافى السموات ومافى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بماشاء وسع كرسيه السموات والأرض ولايؤوده حفظهما وهو العلى العظيم »(١)

ولكى يتحرر ضمير الإنسان من قيود العبادة الموروثة يوجهه الإسلام إلى معرفة ربه عن طريق إعمال العقل وإعمال الفكر فى الوجود وفى الكون « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »(٢) .

ثم يوجهه للنظر والتفكير فى خلقه هو « فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب »(٣) ويذكره دائماً بأنه لابد من الموت والبعث فيقول « إنه على رجعه لقادر »(٤) .

قام — ولكى يعرف العبد حق ربه عليه ، وجه المسيح إلى ذلك

(١) سورة البقرة ٢٥٥

(٢) سورة آل عمران ١٩٠ — ١٩١

(٣) سورة الطارق ٥ — ٧

(٤) سورة الطارق ٨

فقد دخل الهيكل فوجده مستعمراً باللصوص والصيارفة والمشارين والخطاه ، وباعة الحمام ، والكهان المنحرفين ، فقلب موائد الصيارفة ، وطرد الباعة والمشارين قائلا : مكتوب أن بيتى بيت صلاة يدعى ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص .(١) وقال : « تعرفون الحق ، والحق يحرركم(٢) وإن اليهود قد أخذوا العبادة تقليدا أعمى ، فحين كرز المسيح وشفى المرضى يوم السبت هاجوا وماجوا وثاروا قائلين :

« هل يحل الإبراء فى السبت ؟ فأجابهم : أى إنسان فيكم له خروف واحد فإن سقط هذا فى السبت فى حفرة أفلا يمسكه ويقيمه ؟ فالإنسان هو أفضل من الخروف إذاً يحل فعل الخيرات فى السبوت »(٣) .

وقال : « إنما خلق السبت من أجل الإنسان ، ولم يجعل الإنسان من أجل السبت »(٤) .

بعد — إن من أهم أهداف الرسل تحرير الإنسان من الخرافة والتقليد الأعمى ، وعدم التفكير ، وهذا ما أدى باليهود إلى الهزيمة ، فقد فكر أعداؤهم مهاجمتهم من خلال خرافة السبت ، فقد هاجم السلوقيون

(١) انجيل يوحنا ص ٨ ف ٣٢

(٢) انجيل متى ص ٢١ ف ١٣

(٣) انجيل متى ص ١٢ ف ٩ — ١٢

(٤) انجيل مرقس ص ٢ ف ٢٧

أورشليم يوم سبت ، وآثر اليهود التضحية بأورشليم على أن يقاتلوا يوم السبت .

وإذا كان « السبت » مقدساً عند اليهود ، فيوم (الأحد) مقدس عند المسيحيين ، ويوم « الجمعة » عند المسلمين عيد فى الأرض وعيد فى السماء ، ومع هذا لم يحرم المسيح عيسى عليه السلام العمل يوم الأحد ، ودستور الإسلام يوم الجمعة واضح « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ، وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون »(١) .

فاهم — من هنا كان المسيح يدعو لعمل كل ماشاء الله بلا إغراق أو استغراق فى الطقوس . وهذا مادعا إليه المسيح فى حينه « سأله تلاميذه قائلين يامعلم كل . فقال لهم : أنا لستم تعرفون طعامى ، فقال التلاميذ لعل أحداً أتاه بشيء ليأكل ، قال لهم يسوع : طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله »(٢) .

محمد — إن رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، ربى أمته على أن الضمير هو الوازع على تنفيذ مشيئة ربهم ، وتنفيذ مشيئة الله تتلخص

(١) سورة الجمعة ٩ — ١٠

(٢) انجيل يوحنا ص ٤ ف ٣١ — ٣٤

فى تنفيذ أوامره ، والابتعاد عما نهى عنه . وبهذا يكون العبد مؤمناً .
ويقول النبى ﷺ (لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به(١) .

فاهم — إن تنفيذ مشيئة الله تمنح الإنسان إيماناً خالصاً يجعله يفعل المعجزات . قال يسوع المسيح « الحق أقول لكم إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر ، ولا يشك فى قلبه ، بل يؤمن أن مايقوله يكون مهما قال يكون له »(٢) .

محمد — إن المؤمن هو ولى الله ، وهو الذى يجرى على يديه المعجزات ، بل الله يعادى من عادى وليه الذى تتوفر فيه شروط الولاية فقد قال رسول ﷺ : « إن الله تعالى قال : من عادى لى ولياً آذنته بالحرب . ماتقرب عبدى إلى بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ، ومايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى أعطيته . وإن استعاذنى لأعيذنه »(٣) .

فاهم — إذا فالعبد محتاج إلى محبة ربه له حتى يكون ولياً لله . وهذا حافز للعباد أن يتسابقوا إلى محبة ربهم وشعار المسيحية « الله محبة » .

(١) رواه البخارى

(٢) انجيل مرقس ص مرقس ص ١١ ف ٢٣

(٣) رواه البخارى عن أبى هريرة

محمد — الإسلام جعل من أسمى الغايات وأنبل الأغراض التى يستهدفها المرء فى حياته ، الظفر بمحبة الله وتحصيل رضاه . والله سبحانه إذا أحب إنسانا وفقه للصالحات ، وأعانه على السمو إلى أقصى الغايات ، وأعلى شأنه ورفع قدره . ولا يظفر بمحبة الله إلا بمنهج مرسوم . وبعض هذا المنهج نشير إليه : فقد وجه رسول الله ﷺ . إلى بعض قليل من هذ المنهج فى قوله :

« إن الله يحب الرفق فى الأمر كله) (١) .

« إن الله يحب السهل الطليق »(٢) .

« إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى »(٣)

« إن الله يحب الشاب التائب »(٤)

« إن الله يحب الشاب الذى يفنى شبابه فى طاعة الله »(٥) .

« إن الله يحب العبد المؤمن المحترف »(٦) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن عائشة

(٢) رواه البيهق والشيرازى والديلمى عن ابى هريرة

(٣) رواه مسلم عن سعد بن أبى وقاص

(٤) رواه أبو الشيخ عن أنس بسند ضعيف

(٥) رواه أبو نعيم

(٦) رواه الطبرانى والبيهقى بسند ضعيف

« إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه »(١) .

« إن الله يحب سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء »(٢) .

« إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى فى القبل »(٣) .

« إن أحب عباد الله إلى الله أنصحهم لعباده »(٤) .

وهذا قليل من كثير يوجب محبة الله لعبده . وهذا أرقى مايربى عليه الضمير ، ويرقى الإنسان إلى اسمى آيات الحب الإلهى ، والاصطفاء الربانى . والولاية لله الحق . لأن هذا الحب هو الحب المخلص الذى يبنى الحياة للبشرية . حتى تسعد وترتقى وترفل فى ثياب العيشة الهنيئة .

قاهم — هناك نوع آخر من التربية . وجه إليه يسوع المسيح . فقد نهى عن استعباد الناس ، وألا يستعلى انسان على انسان . فقال « أنتم تعلمون أن الذين يحسبون رؤساء الأمم يسودونهم وأن عظماءهم يتسلطون عليهم فلا يكون هذا فيكم ، من أراد أن يصير فيكم عظيما يكون لكم خادماً ، ومن أراد أن يصير فيكم اولا يكون للجميع عبداً ، لأن ابن الإنسان أيضا

---

(١) رواه ابو يعلى وابن عساكر عن عائشة .

(٢) رواه الطبرانى عن الحسن بن على .

(٣) رواه البخارى عن النعمان بن بشير .

(٤) رواه عبدالله بن الإمام عن الحسن مرسلا .

لم يأت ليخدم بل ليخدم ، وليبذل نفسه فـــدية عن كثيرين »(١) .

محمد — وضع الاسلام قاعدة واضحة المعالم ليقظة الضمير ، تتمثل فى السلوك مع الناس ، وحدد طرق المعاملة ، وألزم المرء أن يراعى هذه القواعد ، ويلتزم هـــذه الطرق ليكثر الخير ، ويعم ويعم الأمن ، ويسود السلام ، وليشعر كل فرد من أفراد المجتمع أنه مع أخوة يتعاونون معه . والقاعدة التى فرضها الاسلام أن يعامل الانسان أخاه برفق ولين . قال ﷺ (إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ، ولا ينزع من شىء إلا شانه »(٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام (من يحرم الرفق يحرم الخير كله)(٣).

وهذا الأدب من الآداب التى اتصف بها رسول الله ﷺ وجمع الناس عليها قال الله تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم . ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر)(٤) .

---

(١) انجيل مرقس ص ٥٠ ف ٤١ — ٤٥
(٢) رواه مسلم عن عائشة
(٣) رواه البخارى عن عائشة
(٤) سورة آل عمران ١٥٩

ويطالب الله المؤمنين أن يكون الرسول ﷺ قدوة لهم وأسوة . قال تعالى : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)(١) .

ولما كان الكبر والتعالى على الناس يتنافى مع الخلق ، ويغرس الفرقة والعداوة ، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل فقد شن الإسلام عليه حرباً شعواء ، ليطهر النفوس والقلوب من هذا الداء الوبيل . يقول الله عز وجل : (ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا)(٢) . ويقول عز من قائل : (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور)(٣) .

وقد يتعالى المرء بنسبه العالى وحسبه الرفيع . فيقول له رسول الله ﷺ : (إن الله قد أذهب منكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، مؤمن تقى وفاجر شقى أنتم بنو آدم ، وآدم من تراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام هم فحم من فحم جهنم أو لتكونن أهون على الله من الجعلان ، التى ترفع بأنفها النتن(٤) .

---

(١) سورة الأحزاب ٢١
(٢) سورة الاسراء
(٣) سورة لقمان ١٨
(٤) رواه أبو داود والترمذى عن أبى هريرة بسند صحيح

وقال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : (الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحداً قذفته فى النار)(١) . والمتواضعون هم أهل الله (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)(٢) .

وقال رسول الله ﷺ : (ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره . ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر)(٣) . والمتكبر يغره كبره فيصرفه عن إصلاح نفسه وعدم الالتفات إلى النصيحة . يقول الله تبارك وتعالى : (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد)(٤) .

ويقول رسول الله ﷺ (إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد)(٥) .

هذه بعض دروس تربية السلوك الاجتماعى فى الضمير التى فرضها الاسلام على أتباعه ليخلق مجتمع الضمير الحى ، الضمير الحر ، مجتمع القوة والمنعة الذى لايتطرق إليه الضعف والوهن ، مجتمع الوفرة

(١) رواه مسلم وأبو داود وعن أبي هريرة
(٢) سورة الفرقان ٦٣
(٣) رواه الامام أحمد عن جابر وقال حديث حسن
(٤) سورة البقرة ٢٠٦
(٥) رواه أبو داود ومسلم وابن ماجة عن عياض

والرخاء والحب والصفاء والتعاون والإيثار . مجتمع لاسيد فيه ولا مسود ، ولا عظيم ولاحقير مجتمع التقوى والايمان والرسول صلوات وسلامه عليه يحذر من الكبر المهلك . فيقول عليه الصلاة والسلام :

(لايزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين)(١) .

فاهم — إن أسوأ مايرزح تحته الضمير الانسانى . عواطف القربى التى تؤثر عليه ، وقد صححه المسيح عملياً : . « لحين يكلم الجموع ، وإذا أمه واخوته يجيئون ويخبره أحدهم : امك واخوتك يريدونك . فيجيب : من هى أمى وإخــوتى ؟ ثم يشير إلى تلاميذه ، ها أمى واخوتى . . . لأن من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى » (٢) .

محمد — إن العمـــل فى الله والحب فى الله من أقوى ما أشاد به الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم : إذيقول الرسول عليه الصلاة والسلام) قال الله تعالى : (وجبت محبتى للمتحابين فى ، والمتجالسين فى والمتزاورين فى والمتباذلين فى) (٣) .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه : (ماتحاب رجلان فى الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه)(٤) .

(١) رواه الترمذى عن سلمة بن الأكوع
(٢) انجيل مرقس ص ١١ ف ٣١ — ٣٥
(٣) رواه مالك عن أبي إدريس الخولانى
(٤) رواه الطبرانى وأبو يعلى وابن حبان والحاكم وقال حديثه صحيح الاسناد .

فاهم — إن الحب فى الله ، وإن العمل فى الله ، هو العمل لإسعاد عباد الله ، فزيارة المريض وإطعام الجائع وكسوة العريان وإيواء الغريب هذه كلها أعمال فى الله وجه إليها السيد المسيح عليه السلام (ثم يقول الملك للذين عن يمينه : تعالوا إلى . . رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم ، لأنى جعت فأطعمتمونى وعطشت فسقيتمونى ، كنت غريبا فأويتمونى ، عريانا فكسوتمونى ، مريضا فزرتمونى ، محبوسا فأتيتمونى : فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين متى : رأيناك جائعا فأطعمناك ؟ عطشانا فسقيناك ؟ ومتى كنت غريبا فأويناك ؟ أو عريانا فكسوناك ؟ ومتى رأيناك مريضا فزرناك ؟ ومحبوسا فأتيناك ؟ فيجيب الحق أقول لكم . بما أنكم فعلتموه بأحد اخوانى الأصاغر فبى فعلتم)(١) .

محمد — إن هناك تشابه بين ماقاله المسيح عليه السلام وما حدث به محمد ﷺ : قائلا : (إن الله تعالى يقول يوم القيامة : يابن آدم مرضت فلم تعدنى . قال كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لوعدته لوجدتنى عنده . . يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى . . فقال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ . قال أما علمت وكيف أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى . . يا ابن آدم

(١) انجيل متى ص ، ف ٣١ — ٤٠

استسقيتك فلم تسقنى . . قال كيف يارب أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه . . أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى ؟ ! !)(١) .

وقال رسول الله ﷺ (من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سألكم بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ومن صنع لكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ماتكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه)(٢) .

فاهم — هذه رسالة المسيح وهذه رسالة محمد عليهما الصلاة والسلام ، فقد خاطبت الرسالاتان الضمير الإنسانى ولنختم حوارنا على بركة الله ، وسوف نعود إلى جلسة حوار أخرى بإذن الله ولك منى السلام .

محمد — على بركة الله والسلام عليك ولك منى التحيات واستودعك الله بعد أن يستضيف الرسولان الفقراء .

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة

(٢) رواه أحمد وابن حبان والنسائى عن ابن عمر .

المسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام

مع الفقراء والمساكين

قاهم — لنستكمل هذه الليلة بدراسة نبذة عن موقف الرسولين عليهما السلام من هذه الشريحة من المجتمع إذ أن المسيحية والاسلام لايقران الظلم بين أبناء المجتمع ؛ ولا تتركان الفقراء عرضة للحرمان والاهمال ، والمهانة ، بل توصى ببرهم ودفع غائلة الجوع والعرى عنهم ، وتنهى عن أذاهم وظلمهم ، حتى يتربى وينمو فيهم الضمير الاجتماعى .

محمد — إن الديانات تختلف فى أساليبها ووسائلها للوصول إلى تلك الغاية المحمودة ، ولحمل المجتمع على العناية بتلك الفئات الضعيفة وقد وقفت كل الأديان الالهية موقفا حاسما لعلاج مشكلة الفقر .

قاهم — إن المسيح عليه السلام بعث فى بيئة مادية جشعة ، هى بيئة اليهود الذين تركوا شرائع الله التى أوصاهم بها أنبياؤهم وفى عهد المسيح بلغوا منتهى الحرص على جمع المال ، وكان أغنياؤهم على جانب كبير من القسوة وموت الضمير ، وكانت الطبقة الفقيرة تقف بين قوتين انعدم الضمير منهما ، طبقة رجال الدين اليهودى الذين حرفوا الشريعة لصالحهم وطبقة الرومان الذين استأثروا بالطيبات ورغد العيش ، بينما طبقة

الكادحين المحرومين من أبسط الحقوق الإنسانية تئن من وطأة المرابين المستغلين المعرضين عن الحق ، الذين يرتكبون المنكرات الخلقية والجنسية . كما جاء على لسان المسيح (لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه ويشكروه كإله ، بل حمقوا فى أفكارهم وأظلم قلبهم الغبى ، وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء ، وأبطلوا مجد الله الذى لايفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات ، لذلك أسلمهم الله أيضا فى شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم الذين استبدلوا حق الله بالكذب ، وعبـــدوا المخلوق دون الخالق الذى تبارك إلى الأبد آمين لذلك أسلمهم الله إلى الأهواء والهوان . لأن إناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعى بالذى على خلاف الطبيعة . وكذلك الذكور أيضا تاركين استعمال الأنثى الطبيعى اشتعلوا بشهواتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكوراً بذكور ونائلين فى أنفسهم جزاء ضلالهم المحق) (١) .

محمد — قبل أن نعرج على موقف الرسولين محمد والمسيح عليهما السلام ، نقول أن محمداً ﷺ جاء مصدقا لما بين يدى الأنبياء من كتب ولهذا نذكر نصوصا من القرآن الكريم تأييداً لما ذكرناه من اتفاق الأديان فى معالجة الفقر . فالقرآن الكريم فى كل مناسبة يتحدث عن وحدة الأديان الإلهية فى أصولها التى بعث بها الأنبياء والمرسلون لدعوتهم إلى

---

(١) رسالة بطرس الأولى إلى أهل رومية ص ١ ف ٢١ — ٢٧

عبادة الله وحده لاشريك له ، وإلى فعل الخيرات ، واتباع الحق ، ونشر المحبة والسلام بين الناس ، والأخذ بالعدل ومجانبة الظلم ويوضح هذا قوله ﷺ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)(١) وبتعبيره ﷺ (أتمم) يشير إلى الالتقاء مع الأنبياء السابقين فى الدعوة إلى القيم الأخلاقية التى يقوم عليها بناء المجتمع . ولاشك فى أن من أكرم القيم الأخلاقية بر الإنسان بأخيه الإنسان واحترامه له ، ورحمته به ، ومسارعته إلى نجدته ، وإسعافه عند الحاجة والفاقة ، والترفع عن ظلمه وإهانته ، وهذا ماتواردت عليه تعاليم الأنبياء قاطبة كما يحدثنا القرآن الكريم : (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين)(٢) .

ويقول الله تعالى عن اسماعيل عليه السلام (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة)(٣) .

ويقول على لسان المسيح عليه السلام (وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا)(٤) .

---

(١) رواة الحاكم فى مستدركه
(٢) سورة الأنبياء ٧٣
(٣) سورة مريم ٥٥
(٤) سورة مريم ٤١

فهذه الآيات قد جعلت الزكاة من وصايا الله لأنبيائه وعباده .
ومما يحدثنا به القرآن الكريم عن دعوة نوح عليه السلام أن كبراء قومه من ذوى الجاه والنفوذ والغنى ، كانوا مما اتخذوه ذريعة للإعراض عن دعوته أنه لم يتبعه فى تلك الدعوة إلا الفقراء (فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى، ومانرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين)(١) وكان مما أجابهم به نوح على هذا الإزدراء بمن معه من الفقراء :

« ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما فى أنفسهم إنى إذاً لمن الظالمين)(٢) حقيقة كريمة يعلنها نبى كريم : إن الفقر لايمنع أصحابه من أن يكونوا من حملة الخير وأهل الفضل .

ثالثاً — إن يسوع المسيح بدأ رسالته بعد أن رجع من عند يوحنا بقوة الروح إلى الجليل ثم إلى الناصرة حيث كان قد تربى ، ودخل الهيكل حسب عادته يوم السبت ليقرأ فرفع إليه سفر أشعياء وقرأ الجزء الذى يحدد منهجه الذى بشر به أشعياء والذى كان مكتوبا فيه « روح الرب على لأنه مسحنى لأبشر المساكين،

---

(١) سورة هود ٢٧
(٢) سورة هود ٣١

أرسلني لأشفي المنكسري القلوب . لأنادي المأسورين بالإنطلاق . وللعمى بالبصر . وأرسل المنسحقين في الحرية »(١) .

محمد — وهاهو النبي ﷺ يحدد ، ويعلن تكريمه للمساكين الذين إذا وجدوا العناية والرعاية أصبحوا أعضاء نافعين ومواطنين صالحين ، وقد يكون فيهم من هو أوفر ذكاء ، وأقدر على النهوض بالأعمال الجسام ، إذا وجد من يقوم بأخذ يده إلى مواطن العزة ، من هنا دعا محمد ﷺ ربه (اللهم أحيني مسكينا ، وأمتني مسكينا ، واحشرني في زمرة المساكين)(٢) . وقد تجلى حنانه ﷺ في بره وعطفه على المساكين الذين طلب من الله أن يحشره معهم .

قاهم — وهذا هو المسيح يرفع عينيه إلى تلاميذه قائلا : « طوبى لكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله ، طوباكم أيها الجياع لأنكم تشبعون طوبى لكم أيها الباكون لأنكم ستضحكون ، طوباكم إذا أبغضكم الناس ، وإذا أفرزوكم أو عيروكم وأخرجوا اسمكم بشر من أجل ابن الإنسان . اخرجوا في ذلك

---

(١) انجيل لوقا ص ٥ ف ١٦ — ٨

(٢) رواه البخاري ومسلم

اليوم وتهللوا فهوذا أجركم عظيم في السماء ، لأن آباءهم هكذا كانوا يفعلون مع الأنبياء »(١) .

محمد — ووقف محمد ﷺ ذات يوم ليقول : (إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بالقدر الذي يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديداً ويعذبهم عذاباً أليما)(٢)

قاهم — وقف المسيح نفس الموقف ليقول : « ولكن ويل لكم أيها الأغنياء لأنكم قد نلتم عزاءكم ، ويل لكم أيها الشباعى لأنكم ستجوعون ، ويل لكم أيها الضاحكون لأنكم ستحزنون وتبكون . ويل لكم إذا قال الناس فيكم حسنا لأنه هكذا كان آباؤهم يفعلون »(٣) .

موقف الإسلام من الضعفاء :

محمد — إن رسالة محمد ﷺ أول ما فرضت الواجب الإنساني نحو الضعفاء من اليتامى والأطفال والعجزة والنساء والفقراء

---

(١) انجيل مرقس ص ٨ ف ١٢

(٢) رواه الطبراني

(٣) انجيل لوقا ص ٦ ف ٢٤ — ٢٦

والخدم والمظلومين . وهذا الواجب يتمثل فى الرحمة والرفق بهؤلاء والحنو عليهم والمساهمة الفعالة فى تحقيق آلامهم ، ودفع ماينزل بهم من ضرر وجور ، ومحاولة الترفيه بكل وسيلة ممكنة عنهم

فاهم — هل نص الإسلام على كل ذلك ؟

محمد — نعم . جاء لكل من هؤلاء نص خاص به ، فالإسلام منع ما كان يلحق باليتامى والنساء من ظلم ، فقد كان العرب يمنعون من توريثهم بحجة أن من لايقاتل لايرث ، فأبطل الإسلام هذا الإجحاف وجعل لهم حظا فى الميراث . قال تعالى :

(للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون . وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا)(١) .

فاهم — من الواضح أن الإسلام أولى المرأة عناية ، فهل عدها من الضعفاء ؟

محمد — نعم . لأن المرأة قبل الإسلام كانت شبه رقيقة ، إن لم تكن رقيقة بالفعل ليس لها حق الميراث ، ولاحق الملك ، ولاحق مزاولة أى عمل رسمى باسمها ، ولاحق اختيار زوجها ، بل لم يكن لها أى حق ، تملك ولا تملك تورث ولا ترث ، وتكره على الزواج ممن تكره .

(١) سورة النساء ٧

فلما جاء الإسلام رفع شأنها ورد كرامتها إليها وأقر بحقوقها ، وأنزلها المنزلة اللائقة بها كإنسان له وظيفة كبرى فى الحياة ، وبهذا حررها من العبودية ، وخلصها من الظلم والاضطهاد . ووضع عنها الأثقال التى كانت ترزح تحتها ، ويتحدد هذا التكريم فيما قرره الإسلام من تشريعات : قرر الله سبحانه وتعالى مساواة المرأة والرجل فى الجنس وأنها مغرس للنوع الإنسانى وأنها بمقتضى ذلك تستحق كل إكبار واحترام . قال تعالى :

(والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة)(١) وقال تعالى :

(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)(٢) .

وقال تعالى : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن »(٣) .

فاهم — هذا المعنى أكده يسوع المسيح فى إجابته لمن سألوه « فأجاب وقال لهم أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقها ذكراً وأنثى ، وقال

(١) سورة النحل ٧٢
(٢) سورة الروم : ٢١
(٣) سورة البقرة ١٨٦

من أجل ذلك يترك الرجل أباه ويلتصق بامرأته ويكون الإثنان جسداً واحداً إذ ليس بعد اثنين بل جسد واحد »(١) .

محمد — ويقول رسول الله ﷺ « النساء شقائق الرجال »(٢) ، وبهذا تكون المرأة مشاركة الرجل فى بناء حياته ، وحياة الاسرة التى تحمل اسمه وترفع ذكره وتبقى إسمه على طول الأيام .

فاهم — نعود إلى موقف الإسلام من باقى طوائف الضعفاء .

محمد — لقد أولى الاسلام اليتيم عناية خاصة إذ ورثه بعد أن كان لا يرث . قال تعالى :

« وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً »(٣)

واعتبر الاسلام الاعتداء على مال اليتيم جريمة من أكبر الجرائم . فقال تعالى : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً)(٤) .

---

(١) إنجيل متى ص ١٩ ف ٥ — ٧

(٢) رواه أحمد الترمذى عن عائشة

(٣) سورة النساء ٢

(٤) سورة النساء ١٠

فاهم — ندد المسيح بأكل مال اليتيم إذ جعل اليتامى من أبناء الله . هذا ماجاء فى مواعظه المتعددة .

محمد — ندد القرآن بالذين يوجهون الاهانة لليتيم وجعل الويل . للذى يهين اليتيم ولا يحض على طعام المسكين وعدم معاونة المحتاجين، بل وصفهم بأنهم مكذبون بالدين فقال تعالى :

« أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين . فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون الماعون)(١) .

ويقول نبى الاسلام صلوات الله وسلامه عليه فى شأن من يراعى اليتيم ويواليه بالبر والمعونة يقول :

(الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله)(٢) .

فاهم — جعل يسوع المسيح الويل كل الويل المتظاهرين بالصلاح وهم يأكلون أموال الأرامل . فيقول :

« ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ولعلة تطيلون صلواتكم »(٣)

---

(١) سورة الماعون .

(٢) رواه الترمذى

(٣) انجيل متى ص ٢٣ ف ١٤

محمد — والإسلام بعد أن رفع عن المساكين الظلم ، وأنزلهم المنزلة اللائقة بهم ، كأناس لهم كرامتهم جعل لمن لامال له حقا فى مال الغنى قال تعالى : « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم »(١)

وجعل صلوات الله وسلامه عليه كافل اليتيم رفيقا له فى الجنة . فقال : (أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة) وأشار بالسبابة والوسط (٢) .

قاسم — هل هناك ضعفاء آخرون أولاهم الدين عنايته ؟

محمد — نعم . الأطفال والخدم فإنهم أمانة فى أعناقنا . فقد خرج رسول الله ﷺ وهو محتضن ابنى بنته قائلا (٣) « إنكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وإنكم لمن ريحان الجنة »(٤) . أى لأن الأولاد يسببون لآبائهم البخل والجبن بإيثارهم وإيثار مصلحتهم على كل شىء :

وجاء أعرابى إلى النبى ﷺ . فقال : أتقبلون الصبيان ؟ فما نقبلهم .

---

(١) سورة المعارج
(٢) رواه البيهقى
(٣) الحسن والحسين رضى الله عنهما
(٤) رواه الترمذى عن خولة بنت حكيم

فقال النبى ﷺ (أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة)(١) .

وكذلك أولى الإسلام الأجراء والخدم عناية خاصة . إذ أن كل عمل جليل يتم بهم ويقوم على أكتافهم مما أوجب الرحمة بهم . قال الرسول ﷺ : (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه)(٢) . نعم لابد أن يأخذ أجره لأنه يستحقه دون بخس على ما أداه من عمل قال تعالى : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون »(٣) .

وبقول رسول الله ﷺ : « اتقوا الله فى أجرائكم ، فإنهم أشقاؤكم »(٤)

وبقول عليه الصلاة والسلام : « من ولى لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا ، أو ليس له زوجة فليتزوج ، أو ليس له دابة فليتخذ دابة »(٥) .

وبهذا شعر الضعفاء فى ظل التشريعات الإسلامية أن يدأ حانية

---

(١) رواه البخارى ومسلم
(٢) رواه ابن ماجة
(٣) سورة هود ١٥
(٤) رواه البخارى
(٥) رواه الامام أحمد

يمسح آلامهم فأحبوا مجتمعهم . وبهذا سادت روح المحبة والرحمة . ونمت عواطف الحنان ، وأظل الجميع السلام والوئام وأحسوا طعم الراحة والحنان والهناء .

وأى مجتمع تتوافر فيه هـــذه المبادىء الكريمة ، يكون أهنأ المجتمعات ، وأقربها سعادة وأحقها بالسيادة والقيادة .

فاهم — تركيزاً لهذا الحنان واستقراراً للضعفاء . ورفع منزلتهم ، وقف المسيح ضد الطغاة قساة القلوب وخاصة الذين يتظاهرون بحب الفقراء وهم لصوص مقنعون » ففى حادثة المرأة التى أحضرت مناً من ناردين » طيب » خالص كثير الثمن ، ودهنت قدمى يسوع ومسحت قدميه بشعرها فامتلأ البيت من رائحة الطيب . فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا سمعان الأسخريوطى المزمع أن يسلمه » أى المسيح لليهود ، لماذا لم يبع هذا الطيب بثلاثمائة دينار ويعطى للفقراء ، قال هذا ليس لأنه كان يبالى بالفقراء . بل لأنه كان سارقا وكان الصندوق عنده وكان يحمل مايلقى فيه »(١) .

محمد — عندما نادى الرسول ﷺ بدعوته ، إلتف حوله الفقراء والمستضعفون ، مما أضج مضجع أشراف مكة . فبعثوا إليه يقولون : إن أشراف مكة يرون أن يستمعوا لك ، ولكنهم يشيرون عليك أن

(١) انجيل يوحنا ص ١٢ ف ٣ — ٨

تجعل لهم يوما ، ولاتباعك يوماً ، وقبل أن يرد عليهم . كان الرد من الله الذى يكرم عباده المؤمنين . فقال تعالى : » واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا »(١) .

بل يواجههم الله بأن إيمانهم لاينفع الله ، وكفرهم لن يضره شيئا ، إنما نفع الإيمان يعود على من آمن وضر الكفر يحيق بمن كفر . فقال تعالى : » وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملا ، أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً »(٢) .

إذاً فالضعفاء هم الأشراف فى نظر الاسلام ، وهم القوم المكرمون بإيمانهم ، والأشراف الذين لايؤمنون هم الظالمون . ولهذا يقول الله

(١) سورة الكهف ٢٨

(٢) سورة الكهف ٢٩ — ٣١

تعالى لنبيه « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شيء ومامن حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين »(١) .

موقف المسيح ومحمد من الطغاة :

قاهم — وها هو يسوع المسيح يهاجم أعداء المساكين ، يفضح نفاقهم ورياءهم ويعريهم فيقول : « على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ماقالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه ، ولكن حسب أعمالهم لاتعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون . فإنهم يحزمون أثقالا عسرة الحمل ، ويضعونها على أكتاف الناس وهم لايريدون أن يحركوا بأصبعهم ، وكل أعمالهم يعملونها لكي ينظرهم الناس ، فيعرضون عصائبهم ، ويعظمون أهداب ثيابهم ، ويحبون المتكأ الأول في الولائم والمجالس الأولى في المجامع ، والتحيات في الأسواق ، وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي »(٢) .

محمد — هؤلاء وأمثالهم تهتز بهم دعوات الرسل في كل مكان وزمان ، يتاجرون بالأديان ويحبون المظاهر شهوتهم صدارة المجالس ، يحبون

(١) الأنعام ٥٢

(٢) انجيل متى ص ٢٢ ف ٢ — ٧

تعظيم الناس لهم ، يفرحون بما يقدمونه ، ويحبون أن يقدم لهم الشكر على مالم يقدموه من عمل ، وينسبون عمل غيرهم إلى أنفسهم : ويسرقون جهد غيرهم ، هؤلاء محل مقت من الله وعذاب أليم . يقول الله تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا ، فبئس مايشترون ، لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم »(١) .

قاهم — قد واجه يسوع صنفاً آخر من أمثال الذين واجههم القرآن ، واجههم بشجاعة . فقال : « ويلكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس . ويلكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل . . أيها الجهال والعميان . . ويلكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تركتم الحق والرحمة والإيمان ، أيها القادة العميان الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة ، وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة . هكذا أنتم أيضا من خارج تظهرون للناس ولكن مشحونون رياء وإثماً ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون

(١) سورة آل عمران ١٨٧ — ١٨٨

المراءون لأنكم تبتنون قبور الأنبياء ، وتزينون . مدافن الصديقين ، وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء ، وأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء ، فاملأوا أنتم مكيال آبائكم أيها الحيات أولاد الأفاعى . كيف تهربون من دينونة جهنم »(١) .

محمد — إن هذه الحملة الطاحنة على الذين يراءون ، ويتلاعبون بالدين كانت لحساب الانسانية أعلنها ابن الانسان ثم بعث الله محمداً خاتماً للنبيين ليجهز على هؤلاء الأشرار ويخلص الانسانية من شرهم ، وهذا هو رب المسيح ورب محمد يعلنها . فضيحة لهم فيقول سبحانه وتعالى :

« إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم . ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون . وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن

(١) إنجيل متى ص ٢٢ ف ١٣ — ٢٣

الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون . الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين »(١) .

فاهم — إن رسالة الأنبياء ليست بالبسيطة أو السهلة ، فلقد قوبلوا بالإنكار والسخرية . بالاعتداء والحرب وكان عليهم جميعا أن يواصلوا الكفاح فى وجه خصوم أقوياء ذوى جبروت وبطش .

محمد — ولكن الله أيد رسله بنصره فى جميع الحالات وأمام كل التحديات ، وكان نتيجة حتمية لقوله تعالى :

« ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله »(٢)

وهذه الآية الكريمة توضح أن الله هزم جميع الأقوياء الذين وقفوا موقف العداء من الله ورسله . ولسوف نتناول بالتحليل كلا من فئات هؤلاء الأعداء على حدة .

(١) سورة البقرة ٦ — ١٦

(٢) سورة الأنعام ٣٤

فاهم — أرى أن القرآن اهتم بتاريخ الأنبياء السابقين ، كما اهتم بمراحل الرسالات السابقة فهل يمكن توضيح ذلك ؟

محمد — إن من سنة الرسل أن تشير كتبهم كما يشيرون هم إلى الكتب المنزلة عليهم التى تحكى أخبار من سبقهم من كتب ورسل ورسالات ، كما تروى التاريخ والأحداث التى حدثت لهؤلاء السابقين عليهم ، حتى يكون كل ذلك بين يدى القوم الذى بعث فيهم الرسول يأخذون منه العبرة والدرس الذى يوصلهم إلى طريق الايمان . وقد رأينا المسيح عليه السلام يقول فى أغلب مواعظه «قيل قديماً» إشارة إلى ماقبل بعثته من رسل ورسالته .

وإن من إعجاز القرآن أنه أتى بالأخبار السابقة على نزوله والتى لم يرها أحد والتى لاتوجد إلا فى كتب السابقين ، ذلك لأن القرآن جاء مصدقا لما سبقه من كتب ، وجاء الرسول ﷺ مصدقاً لما سبقه من رسل «آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»(١).

(٢) سورة البقرة ٢٨٥

فاهم : هل هناك فئات من الخصوم للرسل والرسالات ؟

محمد : نعم . ونذكر منهم على سبيل المثال . الطغاة والمتكبرون

فلقد حورب نوح بصفة أساسية من الطبقة المتكبرة فقال تعالى :

« وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ماهذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون »(١) .

أما الكفاح بين موسى وفرعون فأمره معروف لقد أمر الله موسى وأخاه هارون أن يكافحا طغيان فرعون وبغيه . فقال تعالى :

« اذهبا إلى فرعون إنه طغى »(٢) :

إلا أن فرعون كان مستعليا يعتقد أنه أكبر من أن يؤمن . فأنزل الله فيه « وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات . فاستكبروا فى الأرض وما كانوا سابقين . فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »(٣) .

(١) سورة المؤمنون : ٣٣

(٢) سورة طه ٤٣ .

(٣) سورة العنكبوت ٣٩ — ٤٠

إلا أن فرعون يقال أن الله أنجاه من الغرق حين تظاهر بالإيمان ليكون لمن بعده عبرة قال تعالى: « وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال : آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس لغافلون »(١) .

أما عن المسيح واستكبار اليهود . فقد قال الله تعالى « وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس . أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون »(٢) .

وهكذا كانت الكبرياء من الأسباب الرئيسية للكفر ، وأغلب الذين كفروا كانوا من أصحاب السلطان والقوة والجبروت ، ولهذا كانت تأخذهم العزة بالإثم ، وكانوا يعتمدون فى حربهم للدعوات والرسالات الإلهية على أسباب المنعة التى وهبهم الله إياها ، فكفروا بنعمة الله وجحدوا بفضل الله عليهم . وصدق قول الله فيهم .

« لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً »(٣) .

---

(١) سورة يونس ٩٠ — ٩٢
(٢) سورة البقرة ٨٧
(٣) سورة الفرقان ٢١

الأغنياء والمترفون الذين يحبون حيـــاة الترف :

لقد وقف هؤلاء موقف العداء من الأنبياء والمؤمنين الذين آمنوا بالله ورسله ، لأنهم وجدوا فى حركات الرسل الإلهية ما يهدد كيانهم ، ويعرض مصالحهم الخاصة للهزات العنيفة ، والخوف على أموالهم ، وما كانت أموال هؤلاء المترفين وأولادهم لتقيهم من عذاب الله أو تحول دون نهايتهم المحتومة ، قال تعالى : « ان تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا . أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »(١)

وكان هذا ردا على ما قاله المترفون من كفر وبهتان . وهذا ما حكاه الله عنهم : « وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ، وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين ، قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء ، ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون »(٢) .

اهم : لقد مر يسوع المسيح بنفس التجربة مع الأغنياء والمترفين وندد بهم وقال :

« الحق أقول لكم أنه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات .

---

(١) سورة المجادلة ١٧
(٢) سورة سبأ ٣٤ — ٣٦

وأقول لكم أيضا إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله »(١) .

الرجعيون :

محمد : من الطبيعى أن يكون بين الفئات التى وقفت موقف العداء من الأنبياء وقاومت رسالاتهم للتحرر المعنوى والاجتماعى ، فئة الرجعيين المتمسكين بالقديم والنافرين من التجاوب مع الأفكار الجديدة . فكثيرا ما كان هؤلاء يقولون لأنبيائهم : « قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين »(٢) .

الضعفاء والجبناء :

ومن هؤلاء الأعداء . أعداء الرسالات فريق ما كان ليتوانى عن الاستجابة للأنبياء ، ولكنه لايجرؤ أن يتخذ موقفا يختلف عن ذلك الذى يتخذه السادة وأصحاب النفوذ والكبراء حتى ولو خالف ضميره ومشاعره الحقيقية . وما أروع ما يصور القرآن موقف هؤلاء الضعفاء . عندما تحدث المواجهه بين السادة والعبيد يوم القيامة ، يوم لا سيد ولا مسود ، يوم لاينفع الندم :

---

(١) إنجيل متى ص ١٩ ف ٢٣ — ٢٦

(٢) سورة إبراهيم ١٠

« وبرزوا لله جميعاً ، فقال الضعفاء للذين استكبروا : إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص »(١) .

الجهلاء :

ويعد الجهل وما يصحبه من قلة المعرفة ، وضعف الإدراك من أخطر أسباب الكفر . لأن الإنسان عدو مايجهل . ومن هنا كان عداء من عميت بصائرهم ، وأبصارهم ، وتحجرت عقولهم وران على قلوبهم ، كان عداءهم للرسالات والرسل ، فكان جدالهم مريضا لأنه لايستند إلى علم أو معرفة أو ثقافة وصدق الله العظيم الذى يقول لرسوله ﷺ :

« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير »(٢) .

اللاهون والعابثون :

مامن مجتمع إنسانى يخلو من ذلك الفريق الذين يتبعون أهواءهم ، فيستحبون الفراغ والبطالة ، والعمى على الهدى ، وحياة اللهو والعبث ، وقد كان مآل هؤلاء الاستخفاف بالدعوات الإلهية :

---

(١) سورة سورة إبراهيم ٢١

(٢) سورة الحج ٨

قال الله فيهم : « فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم . ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لايهدى القوم الظالمين »(١)

ويقول الله تعالى : « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ، ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين . وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم »(٢) .

فاهم : إن مثل هذا التحليل القرآنى كما أبرزته لتلك الفئات لاشك أنه يوضح ماواجهه الرسل من عنت وعسف فى سبيل تبليغ الرسالة وأداء الأمانة . وكان ذلك كله تحرير الضمير الانسانى ، بل وتحرير الانسان من كل قيوده الروحية والمادية . ومما لاشك فيه أن هذا التحليل ينطبق على كثير من الفئات فى عصرنا الحاضر .

محمد : نعم يا أخى إن عصرنا يحتاج أهله إلى اليقظة من غفلتهم ، والعودة إلى تراثهم الروحى حتى تعود للحياة بهجتها وإشراقها .

---

(١) سورة القصص ٥٠

(٢) سورة لقمان ٦ — ٧

فاهم : إن لقاءنا هذا كان مثمراً وقفت فيه على جلائل الاسلام ، ووضوح مفاهيمه ، إذ كنت أجهل الكثير من تعاليم الاسلام .

محمد : أستودعك الله يا أخى على أن نعود إلى حوار آخر نستجلى فيه مالم ندرك فى هذا الحوار وقد سرنا على القول القائل (مالا يدرك كله لايترك كله . وإلى اللقاء قريباً بإذن الله .

فاهم : إلى لقاء فى جو من المحبة والأخوة إنشاء الله

محمد : وبالله التوفيـــق

أنابيش

المختلفون فى أصول المسيحية والمعارضون(١)

كان اختلاف المسيحيين فى عقائدهم فى العصور الأولى بعد عصر التوحيد يقوم على الشكل دون الجوهر ، ونضرب على ذلك مثالا ، هذه الخصومة التى قامت بين الكنيسة الشرقية وبين الكنيسة الغربية حول أيهما أصح : هل الروح القدس منبثق من الآب والإبن ، أو من الآب بالإبن ، والمجامع الدينية التى انعقدت بين الرأيين : وإصرار بطارقة هرقلية وأفسس ، وموتمازيه وأنجالس بعد اقتناعهم بانبثاق الروح القدس من الإبن ، ثم الاتفاق على رأى الانبثاق من الآب والإبن . وإصرار مرقس الأفسسى وحده على الخلاف هذا الخلاف الذى يعرضه خليل بن ميخائيل البدوى فى كتابه « كشف المكتوم فى تاريخ آخر سلاطين الروم » والواقع أنها آراء خاطئة ، فالروح القدس هو جبريل عليه السلام وهو مخلوق لله كسائر الملائكة ، ولا بنوة ولا أبوة ولا انبثاق .

(١) فى العقائد والأديان للدكتور محمد جابر عبد العال الحسينى ص ٢٤٧ – ٢٥١ بتصرف

٧ — ولعل أهم معارضى المسيحية فى القرون الوسطى هو « أريوس » الذى قال : القديم هو الله والمسيح هو مخلوق » .

ولعل أعظم خطر واجه المسيحية هو هذه المعارضة التى قام بها علماء باحثون فى أوائل هذا القرن العشرين ، فى مؤتمر الأديان الذى انعقد فى باريس فى يوليو سنة ١٩١٣ اتجه المؤتمرون إلى رفض العقائد المسيحية القائمة لأنها تقوم فى رأيهم على أخطاء ، ولكن قيام الحرب العالمية الأولى حال دون إتمام الخطة التى رسمها المؤتمر ، وفى ٩ أغسطس سنة ١٩١٧ انعقد فى كمبروج مؤتمر من رجال الدين برئاسة الأستاذ برسى جاردنر (Prof. Percy Gardenr) وكان موضوع المناقشة هو هل أسس المسيح الكنيسية ؟ (١) وكان من خطباء المؤتمر نائب أسقف (أنج) (Dean Ing) ، الذى أعلن أن عيسى ليس إلا نبياً كما بدا لمعاصريه ، وأنه لم يحاول إطلاقا أن ينشر نظاما داخل الكهنوت اليهودى ، أو ينشر نظاما منافسا له ، والواقع فى نظره أنه جاء بروحانية مستقلة مع قبوله للنظم القائمة فى عصره وفى المملكة ، ولقد كان الانفصال عن اليهودية أمراً محتما ولكنه لم يضع نظاما وقواعد لذلك ، ولقد وافقه على هذا الرأى رجال الدين وهم : ج . ر . والكنس

(١) راجع التيمس الصادره فى ١٠ أغسطس سنة ١٩١٧

(Rev.r WIKINSOR) ، س . و . وامت (Rev . C . Emmet)
ل . باترسون (Rev . L . Pattesoon) أن بيجر (R. V. H. Major) ،
ه . سيموندس (Rev. H. Symonds) ثم وافق المؤتمر على هذا
الرأى ولم يعارضه إلا كبير الشمامسة فورد (Arh deaon Ford)
وحده . وقد انعقد مؤتمر آخر انعقد فى نفس المدينة سنة ١٩١٨
وأيد مؤتمر سنه ١٩١٧ ، وكانت هذه المؤتمرات تنتهى إلى أرائها بعد
دراسة وأبحاث معه فى هذا الشأن .

(٢) بشرية عيسى

فى سنة ١٩٢١ اجتمع عدد كبير من رجال الدين فى اكسفورد برئاسة الدكتور راشدل (Qr . R.shdaII) أسقف كارليل الذى (The qean of cayIsta) الذى أذهل خطابه العالم المسيحى . ذلك لأنه ذكر أن قراءته للكتاب المقدس لاتجعله يعتقد أن عيسى إله ، وأنه إنسان بكل ما يحتمل هذا االفظ من معان ، ونجمل أقواله فى هذا المؤتمر فيما يلى .

قال يوجد ضغط متزايد يذهب إلى أنه يجب على رجال الدين المتحررين أن يحددوا أقوالهم وماذا يعنون على وجه الحقيقة حينما يستخدمون النصوص الموروثة عن ألوهية عيسى ، وهاهى ذى بعض الأشياء التى لاتعنى ولا يمكن أن تعنى نسبة الألوهية إلى عيسى .

(ا) لم ينسب عيسى إلى نفسه الألوهية ، ومن الجائز أنه سمح لنفسه أن ينادى بالمسيح ، ولكنه لايوجد مطلقا فى أقواله الثابتة إلا مايشير إلى صلته الشعورية بالله هى صلة إنسان بربه ، أما أقوال الإنجيل الرابع التى تذهب إلى أبعد مما تذهب إليه أقوال الأناجيل الثلاثة فلا يمكن النظر إليها على أنها تاريخية .

(ب) يستتبع الاعتراف بأن عيسى إنسان بكل مايدل عليه اللفظ وأنه ماهو إلا جسد بشرى ، وأنه روح بشرية عقلا وإرادة .

(جـ) الافتراض أن روح عيسى سابقة فى الوجود مماثل للزيغ لأنه ببساطة لا أساس لمثل هذه النظرية إلا إذا قلنا أن جميع أرواح البشر وجدت فى العالم قبل ميلادهم ، ولكن هذا ليس هو الوضع المسيحى المقبول عادة .

(د) إن ألوهية المسيح لاتستنتج بالضرورة من مولده من عذراء أو من أية معجزة أخرى فالمولد من عذراء — إذا أمكن إثباته تاريخيا — لايدل على ألوهية المسيح ، كما أن عـــدم إثباته لايثير الشك فى هذه النظرية .

(هـ) لايستنتج من تأليه يسوع إحاطته بكل شىء ، وليس هناك دليل يدعونا أن نفترض أن عيسى الناصرى عرف من البيانات العلمية فى الأمراض العقلية أكثر مما عرف معاصروه الذين يعتقدون نسبتها إلى المس الشيطانى . وأن معرفته تجاوزت معرفتهم فى تأليف الأسفار الخمسة أو المزامير ، ومن العسير إنكار أنه توقع حدوث أشياء فى المستقبل لم تتحقق تاريخيا .

وفى هذا الاجتماع افتتح هـ . د أ . ميجر (Rev. H. D. A. Major) المناقشة بقوله : يجب أن يكون مفهوماً بوضوح أن عيسى لم يدع فى

الأناجيل أنه ابن الله بالمعنى الجسدى ، كما يوحى بذلك القصص عن مولده من عذراء . كما أنه لم يدّع أنه ابن الله بالمعنى الميتافيزيقى كما تذهب إلى ذلك عقيدة مجمع نيقيه بل ادعى أنه ابن الله بالمعنى الذى يكون به البشر أبناء الله باعتبار أنهم ذو صلة روحية وبنوية بالله وقادرون على أن يعملوا بالأسس الخلقية التى كونهم بها الله (١) .

---

(١) راجع هذا كله فى المجلة الإسلاميه (Islamic Review) المجلد التاسع عدد ٨ من ص ٢٨٦ — ٢٧٨ .

٣ — الأبحاث العلمية حول المسيحية

هذا هو قول رجال الدين المتحررين المنتسبين إلى الكنيسة الحديثة . أضف إلى ذلك الأبحاث العلمية نرى (روبرتسون Robertson) فى كتابه (Pagan Chrits) يحدثنا عن عبادة (مثرا) (Mithra) ورأيه فى امتصاص المسيحية لها تجده يقول :

من المعروف أن ديانة مثرا جاءت إلى العالم من فارس ، وكانت فى هذه البلاد منتشرة لمدة تقرب من ستة قرون ، ولقد وصل هذا الدين إلى روما حوالى ٧٠ ق . م ، وانتشر فى الامبراطورية الرومانية حتى وصل إلى الجزيرة البريطانية وا كتشفت آثاره فى بعض الأماكن.

ويذهب هذا الدين إلى أن صاحبه (مثرا) ولد فى كهف فى « ٢٥ ديسمبر »(١) وقد ولدته أم عذراء ، وأنه جاب الآفاق يبشر برسالته ، وكان حواريوه اثنى عشر رجلا . وأنه مات فى سبيل البشرية واحتفل بقيامه من القبر بفرح عظيم ، وقد أطلق عليه المخلص ، واعتناق هذه العقيدة كان يستلزم التعميد ، وكانت تقام حفلات مقدسة لإحياء

(١) تحتفل الكنائس الاوربية بعيد الميلاد المسيحى يوم ٢٥ ديسمبر من كل عام حتى الآن .

ذكراه ، ومما هو جدير بالذكر أن هذا الدين كان قوياً إلى القرن الثالث الميلادى ، ولولا مالاقته هذه العقيدة من اضطهاد وعسف فى روما والاسكندرية كما اعترف بذلك القديس جيروم لطغت وابتلعت المسيحية وعلى أية حال فإنها لم تمت إلا بعد أن ذابت فى المسيحية (١) .

وعن العقائد التى اتخذت الشمس إلهاً يقول « إدوار كاربنتر » أنه قد اعتقد فيها :

١ — أنها ولدت فى يوم الميلاد (christmas Day) أو حول هذا التاريخ .
٢ — أنها ولدت من أم عذراء فى كهف أو حجرة تحت الأرض .
٣ — أنها عاشت حياة عناء فى سبيل البشرية .
٤ — أنها تسمت بأسماء : باعث الضوء . الشافى (Healer) الشفيع (Mediator) المخلص المنقذ .
٥ — أنها انهزمت بقوى الظلام .
٦ — أنها نزلت إلى السعير أو العالم السفلى .
٧ — وأنها قامت من الموت ثانية وأصبحت رائدة للبشر إلى عالم السماء .
(٨) أنشأت أنظمة القديسين والكنيسة التى يأتى إليها الاتباع للتعميد
(٩) احتفل بذكراها بالعشاء الربانى .

(1) Robertson, Pegan christs, PP, 338,350

٤ — تعليـــق

ذهب الذين يعارضون المسيحية أن العقيدة بوضعها الحالي لم تكن بكل تفاصيلها الحالية من تعاليم المسيح عليه السلام ، ذلك لأنها في رأيهم تأثرت بعقائد أخرى قوية كانت سائدة زمن ظهور عيسى عليه السلام . أضف إلى ذلك أن كلمة مسيحي لم تكن شائعة للدلالة على معتنق هذا الدين ، حتى اجتمع المجمع في نيقنية(١) في القرن الثالث الميلادي ، واتخذ قراراته في العقيدة ومنها وصف معتنق النصرانية بأنه مسيحي ، وقال المعارضون ومنهم من هو من رجال الدين أن المسيح عليه السلام لم ينشىء كنيسة أي نظاماً له أوضاع ومظاهر دينية معينة في مجال اليهودية ، وأسرف منهم من أسرف حتى أنكر العقيدة جملة وتفصيلا وشكك فيها إلى حد يبعث على الدهشة ، كان للدرجات الاجتماعية التي أعقبت الحروب الكبرى أثر عظيم في تغيير مفاهيم كثيرة ، وأصبح الناس يتلمسون طريقا يأخذ بيدهم إلى النجاة ، فينقذ ألبابهم حتى لاتخدعهم هذه التيارات الحديثة وأن ينظروا إلى الحقائق وحدها . الحقائق التي ترسم لهم منهج الحياة في مناحيها المختلفة روحية كانت أو عقلية وان يجدوا ذلك إلا في الإسلام . الذي جاء به محمد ﷺ حين أصبحت الناس في حاجة إلى هدى .

---

(١) في خضم الفوضى العقائدية التي اشتد فيها الخلاف إلى درجة هددت ماتضمنته المسيحية من مبادىء سامية ومثل أخلاقية رفيعة بالضياع والزوال . قام في مصر داعية جرىء قوى الحجج ينقد بجرأة وبأسلوب فصيح لاذع . رؤساء كنيسة الاسكندرية فيما يبثونه بين المسيحيين ويروجون له من ألوهية المسيح . وكان هـــذا الداعية هو « آريوس » الذي أخذ على عاتقه إنقاذ المسيحية . وكان رأى آريوس أن الإله واحد ، وليست هناك أية وجوه للشبه بين طبيعتي « الله » والمسيح الذي هو ليس إلا مجرد بشر وأن الله كان بينما لم يكن المسيح إلا بعد أن خلقه الله وصنعه كما يخلق ويصنع كل ابن انثى من بني الإنسان في أوانه ووقته المحدد » .

ولقد إزداد أتباع آريوس إلى درجة جعلت كنيسة أسيوط = تعترف بهذه المبادىء الآريوسية اعترافاً مطلقاً وتنفصل كلية عن كنيسة الاسكندرية التي تمسكت بتأليه المسيح واعتباره ابنا حقيقيا لله . ولما اشتد النزاع وكثر أشياع آريوس ومؤيدوه في كل من مصر ومقدونيا وفلسطين وأوشكت الفتنة الدينية أن تقع بعد أن استشرى الخلاف واتسع ، لم يجد قسطنطين امبراطور الرومان بدآ من أن يدعو رجال الدين وزعماء الطوائف في جميع الامبراطورية إلى مؤتمر عام . . وفي عام ٣٢٥ م اجتمع بدعوة من الامبراطور في مدينة نيقيه حشد =

. . . .

= من البطارقة والأساقفة قدره ابن البطريق بألفين وثمانية وأربعين ليضعوا حدا لهذه الخلافات .

ولقد أسفر هذا المؤتمر الذى عرف باسم مجمع نيقية عن قرارات خطيرة أهمها الاعتراف بألوهية المسيح وأنه من جوهر الله وأنه قديم بقدمه ولا يعتريه تغير ولا تحول ، كما قرر المجمع إعدام كل الكتب والمأثورات التى تخالف القرار واعتبار كل من يقول بغير ذلك كافر بجدف ملعون مطرود من حظيرة الرحمة والغفران .

٥ — البحث عن دين منقذ

بعد أن انحرفت اليهوديه ، وكثر الخلاف فى المسيحية وقام النزاع بين اليهودية والنصرانية .

(وقالت اليهود ليست النصارى على شىء ، وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم : فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)(١) .

وقال الذين لا يعلمون : أن لا إله ، والحياة مادة . وهذا انحراف دينى نبت فى ذهن بعض الأفراد ونمته الظروف الاجتماعية الخاصة . ظروف الفقر والحاجة والحرمان وساعد على تقوية جذورها ، وبسط سلطانه ، أنه لم يكن ثمة دين ينير العقل أو يطمئن القلب فضلا عن أن المتظاهرين بالتدين ، كانوا مظهراً للتخلف والرذيلة ، بل كانوا مضرب المثل فى التفاهة والحقارة ، ولم يقضوا يوماً واحدا فى جانب المحرومين ، وإنما كانوا دائماً عوناً للقياصرة وسندا للمستبدين .

ولازال كثير من الناس يستسلم لما يلقى إليه من عقائد ، ويذعن لما يقال له من انحرافات ، ولا يكلف نفسه مشقة البحث ولا مؤونة الدرس ، ولو كان الذى يلقى إليه من الخرافات ، التى لا يصدقها العقل ، ولا يعترف بها العلم

(١) سورة البقرة ١١٣

ولكن هذا الأمر قد تغير الآن فى نظر الإنسان الذى يعيش فى عصر العلم ، إنه يريد من الدين أن يقنع عقله ، ويرضى طموحه ، ويساير تقدمه ، ويجارى تطوره . ولا يحرمه من ثمرة جهده ولا لذة بدنه .

وربما كان عدم وجود دين ينطوى على هذه المبادىء . هو أحد الأسباب التى صرف بعض العلماء الذين أسهموا فى بناء الحضارة عن الدين . وجعلتهم يتجهون إلى الهوى وحده يستفتونه . ويحتكمون إليه . ولا يعولون فى قضية إلا عليه .

ولم تتح الفرصة لهؤلاء أن يطلعوا على مبادىء الإسلام الكريمة ، وتعاليمه ، وإن كان أتيح لبعضهم أن يعرف الإسلام ممثلا فى أعمال من ينتسبون إليه ، وهى فى واقعها تشويه لجمال الإسلام . وعرض سىء لمبادئه : فكان حكمهم على الإسلام كحكمهم على غيره من الديانات الأخرى كاليهودية والمسيحية ولو عرفوه حق معرفته لعلموا أنه الحق الذى تعمر به الأرض « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض »(١) . وأما شيوعيتهم فهى كما قال سبحانه « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار »(٢)

(١) سورة الرعد ١٧ .

(٢) سورة إبراهيم ٢٦

٦ — الإسلام فى كلمات

إن الإنسان فى هذا العصر — بالرغم من المغريات المادية التى صرفته عن الدين . تهفو نفسه إلى دين موثوق بأصله من جهة ، وقادر على أن يسمو به إلى الكمال المادى والروحى من جهة أخرى .

ونحن نجزم فى إيمان وفى ثقة .

بأن الإسلام — وحده — هو الذى توفر فيه هذان العنصران ، لأنه هو الدين الذى وضحت معالمه وعلانيته ، وعظمت مبادئه ، وثبتت مصادره ، وحفظت من التغيير والتحريف والتبديل والتصحيف « وإنه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »(١) « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »(٢) .

وأنه كفيل بأن يحقق للانسان ما ينشده من ارتقاء ، وما يرجوه من كمال ورفعة .

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم »(٣) .

(١) سورة فصلت ٤٢

(٢) سورة الحجر ٩

(٣) سورة المائدة ١٥ — ١٦

والإسلام هو الدستور الكامل ، والمنهج الذى استهدف إقامة حياة إنسانية رفيعة . . . يتحرر فيها العقل والضمير ، وتستقل فيها الإرادة والتفكير ، ويشعر فيها كل فرد بأنه سيد نفسه ، ومالك أمره ، وأنه لاسلطان لأحد عليه سوى سلطان الحق الذى يعلو ولا يعلى عليه .

وهو الدين الذى أهاب بالناس أن يفتحوا عقولهم ، ليعرفوا آيات الله فى الكون ، وسننه فى الخلق ، وحكمته فى الطبيعة .

« أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض . وما خلق الله من شىء »(١) .

وتعطيل قوى الإدراك ، وعدم الانتفاع بها ، يعتبر فى نظر الإسلام جريمة ، يسأل عنها الإنسان ويحاسب عليها الحساب العسير .

« إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »(٢) .

والإسلام بعقائده ، وعباداته ، ومثله ، وقيمه قد بعث الحياة فى العواطف الجامدة ، واليقظة فى القلوب الهامدة ، وحرك حواس الخير فى الإنسان لتتسع نفسه للعلاقات الحسنة ، والصداقات الطيبة ، وإنه إلى جانب هذا حارب الظلم ، والبغى ، حتى لاتهدر كرامة أحد ،

(١) سورة الأعراف ١٨٥
(٢) سورة الاسراء ٣٦

ولا تنتهك حرمة إنسان ، ولا يشعر ضعيف بهوان ، ولا يحس فقير بضياع ، ولا يؤخذ مال بغير حق ، وأنه أراد أن يقيم أطهر حياة على الأرض ، وأنه استهدف تهذيب الفرد ، وتعاون الجماعة ، وإيجاد حكم أساسه الشورى ، وغايته حراسة الدين ، وسياسة الدنيا ، وجعل فى طليعة وظيفته الدعوة إلى هداية هذا الدين ، لتعم الأخوة الإنسانية بما يعجل بسلام عام ، يعيش الناس فى ظله آمنين

انتهت معظم الآراء فى أوربا وأمريكا إلى وجوب المناداة بالعودة إلى الدين ، لأن التطور المادى الذى لم يصحبه سند روحى تطور خطر لاغاية له إلا الخراب والدمار ، ولأن النفوس قد أفسدها الطمع ، والجشع والشره ، والأنانية ، وهم أحوج ما يكونون إلى إصلاح هذه النفوس وعلاجها ، ليسود المجتمع المودة ، والرحمة ، والمعاونة : والإيثار ، والسماحة ، والطيبة . وهذه الفضائل لامصدر لها إلا الدين والإيمان .

وليس من دين سوى دين الإسلام ، يستطيع تقديم هذه الفضائل الانسانية ، وليس هذا هو رأينا الخاص ، وإنما هو رأى علماء الغرب الذين درسوا الاسلام ووقفوا على حقائقه .

يقول جولد زيهر :

« إنه إذا أردنا الانصاف ينبغى أن نؤمن بأن فى منهج الاسلام قوة صالحة توجه الانسان نحو الخير .

وأن الحياة المتفقة مع التعاليم الاسلامية ، حياة أخلاقية لاغبار عليها . . ذلك أنها تتطلب الرحمة نحو الجميع جميع المخلوقات . مخلوقات الله ، والوفاء بالعهود والمحبة والاخلاص ، وكف الغرائز .

المسلم الصالح هو الذى يحيا حياة يحقق فيها مطالب خلقية قاسية .

هذا هو الاسلام قوى بنفسه لأنه الحق ، وأنه الحق كل الحق الذى يعلو ولا يعلى عليه ، وأنه النور والهدى .

« وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم . صراط الله الذى له مافى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور »(١) .

(١) سورة الشورى : ٥٣

٧ — اعتنقا الإسلام فقالا

١ — محمد صاحب الصفات المؤثرة

يقول « لين بول » المستشرق الإنجليزى الكبير ، وقد اعتنق الإسلام عام ١٩١٤ .. مانصه « إن محمداً رسول الإسلام عليه السلام كان يتصف بكثير من الصفات الحميدة كاللطف والشجاعة ومكارم الأخلاق ، حتى أن الإنسان لايستطيع أن يحكم له دون أن يتأثر بما تتركه هذه الصفات من أثر فى نفسه ، ودون أن يكون هذا الحكم صادراً عن ميل وإنما على هدى ، وكيف لا ؟ وقد احتمل محمد عداء أهله وعشيرته أعواماً ، فما وهن له عزم ولا ضعفت له قوة . .

وقد بلغ محمد من نبله أنه لم يكن طوال حياته البادىء بسحب يده من يد مصافحه حتى ولو كان المصافح طفلا ، وأنه لم يمر بجماعة يوماً رجالا كانوا أو أطفالا دون أن يقرأ عليهم السلام وفى شفتيه ابتسامة حلوة وفى فمه نغمة جميلة كانت تكفى لسحر سامعها فيجذب القلوب إليه جذباً » .

٢ — صاحب الرسالة الإلهية

ويقول لورد « هدلى » فى رسالة بمناسبة مولد النبى محمد ﷺ . بعد أن أعلن إسلامه . « أبلغت فى أواخر العام الماضى — يريد عام عام ١٣٥٠ هـ — بأن هناك حركة خاصة يقوم بها فريق من المسلمين — جماعة الهداية الاسلامية فى بغداد — والغرض منها وقوف الناس على ما كان لمحمد النبي الصادق الملهم من فضل على الجنس البشرى ، وقد طلب القائمون بهذه الحركة أن أضع لهم بهذه المناسبة رسالة مختصرة » .

وبعد هذه المقدمة يقول لورد هدلى : « . . . والأنبياء والرسل قوم اصطفاهم الله واختارهم وفضلهم على الناس وبعثهم إليهم مبشرين كما يقول القرآن الكريم « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » وقد تحققت بعد طول البحث والاستقراء أن محمدا نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام لم يكن مدعياً ولا دجالا كما يدعى خصومه ، ولكنه كان رسولا نبيا جاء برسالة إلهية صادقة لاريب فيها هدى للمتقين أوحى الله بها وكلفه بتأديتها فجاءت مخففة لصراحة أحكام التوراة ومكملة لكتاب المسيح عليه السلام » . ثم قال « فى الانجيل يقول المسيح :

إذا صفعك أحد على خدك الأيمن أدر له خدك الأيسر . وذلك لعمرى وصية نافعة لولا أنها لم تعد تصلح الزمن الذى نعيش فيه ، كما أن العمل بها فى الوقت الحاضر فضلا عن أنه متعذر وغير مألوف لايولد

إلا المتاعب ، ولا يؤدى إلا إلى الاضطراب » .

جاء موسى عليه السلام بالوصايا العشر وهى فى يقينى قيمة ونافعة ، لو تمسك الناس بأهدافها لضمنوا لأنفسهم كل راحة وهناء ، أما المسيح عليه السلام فلم يكن فى كتابه مشرعاً ولا نص على عقاب الذين يجترئون على خرق النواميس الإلهية ، بل كان فقط يحثهم على التوبة ويدعوهم إلى الندم ويبشر التائبين برحمة الله وعفوه وغفرانه »(١) .

« فلما جاء محمد عليه السلام كان داعياً إلى الرحمة والعدل والكرم والشجاعة والصبر على المكاره وغير ذلك من مكارم الأخلاق والصفات الحميدة ، وبخاصة الصدق الذى كان يحبه ويقدسه أكثر من سواه ، وكان محمد نبى الإسلام عليه السلام يعتبر أن الدين وحده هو القانون الطبيعى الذى يجب على الناس أن يتبعوه وأن الله مابعثه إلا رحمة للعالمين ليبين لهم طريق الهدى وطريق الضلال ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم .

ويعتقد محمد عليه السلام أن الدين هو أقرب الأشياء إلى العقل وإلى الطبيعة ، وأن الإنسان ماهو إلا مظهر من مظاهر قدرة الله تعالى ،

(١) راجع كتاب « محمد رسول الإسلام فى نظر فلاسفة الغرب » لمؤلفه محمد فهمى عبدالوهاب . إصدار شباب محمد عليه الصلاة والسلام الصفحات من ٣٥ — ٣٩

فقد أوتى عقلا يميز به الخير والشر فمن آمن واتبع الهدى فبها ونعمت، ومن كفر فعليه كفره ، والله غنى عن العالمين ، والقرآن يقول :

« فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »(١) .

ويقول : (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون(٢) .

ويقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون » (٣)

وهكذا نرى أن الدين الذى يدعو إليه محمد ﷺ إنما هو دين واضح جلى لا غموض فيه ولا إبهام » .

ثم قال لورد هدلى : « أفلا يعتبر هذا كله دليلا على أن محمداً لم يكن متصفاً بالقسوة ولا متعطشا للدماء كما يقول خصومه ، بل كان دائماً يعمل على حقن الدماء جهد المستطاع ، وقد نال محمد نبى الاسلام عليه السلام حب العالم أجمع وحب أعدائه بوجه خاص ، وذلك عندما ضرب مثلا فى مكارم الأخلاق بإطلاق عشرة آلاف أسير كانوا فى يوم من الأيام يعملون على قتله والفتك به وإيراده وأصحابه موارد الهلاك . ولما استتب له الأمر وخضعت له شبه الجزيرة من أقصاها إلى أقصاها ،

(١) سورة الروم : ٣٠

(٢) سورة البقرة : ١٣٨

(٣) سورة البقرة : ١٥٦

وجاءه وفد نصارى نجران اليمنيون بقيادة البطريرك ، لم يحاول قط أن يكرههم على اعتناق الاسلام بل أمنهم على أموالهم وأرواحهم وأمر بأن لا يتعرض لهم أحد فى معتقداتهم وطقوسهم الدينية ، وأن تبقى كنائسهم ومعابدهم كما هى يؤدون فيها شعائرهم كما كانوا يفعلون من قبل، بل أكثر من ذلك لم يفرض عليهم أية ضريبة أو جزية . . . ! »

ثم قال هدلى : « ولما توفى الرسول محمد عليه السلام تولى بعده خلفاؤه الراشدون أبو بكر فعمر فعثمان فعلى رضى الله عنهم أجمعين ، فلم يحاول أحـــد منهم قط أن ينقض عهد الرسول مع من أمنهم على أموالهم وأنفسهم ، بل أحسنوا معاملتهم أى إحسان » .

وختم لورد هدلى رسالته بقوله : (إن كل هذا يكشف عن ناحية من نواحى صفات الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، وما اتصف به من الصبر واحتمال المكاره والعفو عند المقدرة ، كما يبرهن لنا أن محمداً كان صادقا إذ يقول بوحى ربه :

(لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى)(١) .

(١) يقصد أهل مكة بعد الفتح

الخـــاتمة

الكفة الراجحة

بقـــلم

المهتدى إلى الاسلام

« يولد الانسان على دين آبائه ويشب على مبادئهم . ويترعرع جسمانيا وعقليا متشبعاً بآرائهم ، مؤتمرا بأمر دينهم ، وربما فاق قومه تطرفاً وزادهم تمسكا بدينه ، حتى إذا شب عن الطوق ، وفى ساعة من من ساعات الصفاء الروحى والحياد العقلى ، تأمل فيما يدين به ، وناقش ما يلقى عليه من تعاليم ، فتساوره بعض الشكوك . ومن هنا تكون الشرارة الأولى التى تنطلق فتولد عنده الصراع الفكرى الذى يعتبر بداية التحرر مما قـــد يسميه فى ذلك الوقت متناقضات ، أو مايظنه متناقضات ، ثم تتطور تلك التى ظنها فى نظره مسائل شائكة . تجبره على البحث والتنقيب .

وفى غمرة البحث والتنقيب قد يطرق سمع ذلك الانسان نداء يدعوه إلى اعتناق مبدأ من المبادىء ، أو دين من الأديان ، وبعد نظرة خاطفة إلى مظهر هذا الدين أو ذاك المبدأ ، يرفض هذا المبدأ وذلك الدين وينفر ، بل يعرض ويفر منها ، ويكون الرفض والفرار وسبب النفور والإعراض نتيجة تنسم رائحة التكليف المبنى على الإرغام والاكراه على اعتناق هذا أو ذاك ، دون مناقشة أسراره وتعاليمه والبحث فى خفاياه لأنه من العسير على العقل الواعى والوجدان المتحرر والضمير اليقظ والالهام الفطرى أن يطمئن لدين أو مبدأ يجبر معتنقيه على الايمان به ، وذلك يخالف مافطر عليه الانسان من حرية التفكير والبحث فى كنه مايدرى ومالا يدرى وما يريد أن يدرى .

وقد تطرأ على الانسان الرغبة الملحة التى تبلغ به حد التطفل ، فيسترق السمع فى غفلة من دينه الذى ولد وشب عليه ، إلى صدى دعوة تدعو إلى دين آخر ، فإذا به قد وجد ضالته المنشودة ، وأصاب الهدف الذى يبحث عنه والغاية التى كان يحلم بأمل الوصول إليها بشتى الوسائل ، فيأخذ الدين الذى وافق هواه وحل جميع المسائل التى اعترضته وعالج جميع ماصادفه من مشاكل ووضع حدا للصراع الفكرى ، فيضطر إلى دراسة خفايا الدين والبحث فى مدى جدية الدعوة الجديدة ، ومدى مقدرتها على موافقة هذا الانسان الذى يسير وراء عقله الفطرى حرا طليقا يبحث عن الحقائق ويجليها .

وكلما كانت الحقيقة التى يدعى الانسان إلى الايمان بها سلسلة واضحة لاتعقيد فيها ولا تكليف ، ولا إكراه ، تحمـــل فى ظاهرها وباطنها ومايتفق والفطرة البشرية التى فطر الله عليها خلقه ، كانت

حقيقة غنية بوسائل الدعوة لنفسها ولمبادئها ، ويتهافت الناس على الإيمان فيها ، ذلك لأن الحقائق لا تتعلق بمطالب الجسد الترابى ، إنما هى مطلب الروح والعقل والروح والعقل يبغيان وينشدان الحقائق الواضحة التى لا إلتواء فيها ولا دوران .

وإنى وقد صادفتنى الحالات الثلاثة ، ودرت فى فلكها فقد ولدت على دين من أديان أهل الكتاب ، ونشأت أقلد أبوى مترسماً خطى أجدادى ، مؤديا طقوسهم وشعائرهم ، حتى نلت حظاً من علم الدنيا ، ثم وجهت إلى تعلم أسرار دينى ، ثم دفع بى إلى تعلم اللاهوت ، وزج بى أن أكون من دعائم الدعوة لهذا الدين ، ورب قائدا من قادته .

وقادتنى الدراسة إلى إصاخة السمع إلى عدة نداءات ، وصلت إلى سمعى نتيجة الثغرات التى أوجدها الشك فيما لم يستطع العقل قبوله ، ومالم يطمئن إليه الضمير لحظة الطهر الوجدانى ، مما أدرسه أو ما أعد لتحمله من المهام ، فكان لتلك النداءات حظ من الإنصات الذى أعقبه التفكير فى الأديان السابقة على دينى ، فكنت كالمستجير من الرمضاء بالنار ، حيث وجدت بعد التمحيص أن أغلال دينى أخفت وطأة من قيود ماسبقه من الأديان ، من نواحى التكليف والاكراه والارغام .

وبعد أن أكملت دراستى ، ولم أكن قد أصبت مارمت إليه ، تحولت إلى البحث فى الدين الاسلامى ، وفى هذه المرة لم تكن بغيتى الفرار

من دينى ، ولكن كان قصدى من البحث فى الإسلام إستخراج العيوب وتلمس الأخطاء والوقوف على المتناقضات التى أوحى بها من أساتذتى وأهلى ، ولكن ما كدت أطرق الباب وأمسك بأول الخيط ، حتى باب المقارنة بين الإسلام وبين ماسبقه من أديان ، وخرجت من تلك المقارنة وقد استولى على سحر الحقيقة الوضاءة والمبادىء الناصعة والتعاليم التى لا سلطان لكاهن عليها ولا سلطة لكنيسة ، ولا إيحاء أحبار .

وجدت فى الإسلام لكل سؤال جواباً شافيا فيه إقناع واقتناع ، وجدت أن مازعموه فى الإسلام عيوبا هى مزايا ، وما ظنوه متناقضات حكماً وأحكاماً ، وأن ما عابوه على الاسلام كان ولا يزال علاجاً للبشرية التى ظلت تتردى فى بيداء الظلمات حتى أخرجها الإسلام بقرآنه وتعاليم نبيه من الظلمات إلى النور .

وجدت الإسلام بواضح دعوته قد أخرج أسراباً من البشرية من الشرك والوثنية وعبادة الفرد إلى التوحيد الخالص دون اصطدام مع الفطرة أو واقع الحياة والطبيعة البشرية ، ومن وضوح أحكامه ونور تعاليمه وصدق رسالته آمنت بالإسلام دينا ، وصدقت بما جاء به محمد عليه صلوات الله وسلامه . ذلك دون إكراه أو ترهيب أو إغراء ، وما اعذبها كلمات الإيمان التى نطقت بها عن تعقل وتفكر ودراسة وتمحيص ومراجعة وبحث ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن

محمداً رسول الله ، وأشهد أن عيسى عبدالله ورسوله . وما أعظمها حيث تلوت « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » .

فالحمد لله على نعمة الايمان ، « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » لأنه هكذا يقول الله تعالى « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

ذلك لأن الاسلام أعطى الانسان حريته فيما يختار لنفسه « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » « بل الإنسان على نفسه بصيرة » سورة القيامة . . والاسلام بطبيعته وضع المجتمع فى الأهداف الأولى التى هدف إليها فقرر رباط الأسرة ونظام المجتمع ، كما قرر المساواة الانسانية وترك للمسلم حرية المناقشة والفكر لإحاطة المسلم بسياج من العلم المثبت للإيمان .

وأخيراً رجحت كفة الاسلام : هدانا الله للعمل بمبادئه .

وصدق الله العظيم . « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » سورة المائدة ٣ .

وفى الختام ندعو الله أن يتوفانا مسلمين على كتابه وسنة رسوله الأمين.

(ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) .

واعترافاً بنعمة الله على بأن هدانى للإيمان . وشرفنى بالانتساب إلى الاسلام أنادى كل مسلم أن يعتز بإسلامه فيكون فى المكان والزمان حيث يرضى الله عنه ويحب أن يراه فيه »

وبعد الذى رأيناه من الذين هداهم الله . اكتب هذا الحوار للمسلم الذى لم يعرف بعد أن دينه الحق إذا مس شغاف قلوب الباحثين وأشع على العقول الصافية ، فاه هؤلاء الباحثين وأشع بنوره على العقول نور الإيمان بالإسلام الذى يدفع المسلم إلى التفانى فى سبيل الدعوة إليه والتضحية فى سبيل إعلاء كلمته بالنفس والنفيس ، وينتصر على نفسه فيتأدب بأدبه ـ حتى يكون محط نظر الله ورحمته .

كما اكتبه لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ليعلموا أن كتبهم المعتمدة منهم وأهم مراجعهم قد اعترفت بنبوة محمد ﷺ ، وأنهم لو التزموا الحيدة التامة لوجدوا أن الإسلام هو صاحب السلطان على النفوس التى خلصت من شوائب العناد ، وسيطرة الاغراء المادى وبعد أن تكون قد توفرت لها عوامل الحيدة التامة ، وتحررت من نير الذل والعبودية بجميع أنواعها . وماأسرع أن تشهد بأن الله واحد ، وأن الاسلام دين الله الحق ، وأن محمدا ﷺ رسول الحق ولآمنت « إن الدين عند الله الإسلام » .

واكتب هذه الرسالة أيضا إلى الماديين الذين يجادلون فى الله بغير علم فينزعون إلى المماراه فى وجود الله وينظرون إلى الأديان على أنها مسكنات لأتباعها .

ا كتب هذه الرسالة إلى هؤلاء وأولئك . وقد آليت على نفسى أن يكون هذا الحوار رسالة واضحة المعالم محددة الهدف ، يظهر الحق على صفحاتها ، دون النيل من أى دين أو مبدأ أو مذهب ، ودون التعرض إلى النواحى التى تناولتها المؤلفات من قبل . وقد التزمت الحيدة التـــامة حتى يرتاح الضمير ويتحرر الوجدان . وتعم القلوب فرحة الايمان .

هذا . وإنى لأرجو من حسن الله القبول ، وغفران التقصير ، وتحقيق الآمال والله الهادى إلى سواء السبيل ؟

المؤلف

د . محمد فؤاد الهاشمى

مصادر الكتاب

أهم المصادر الإسلامية

القرآن الكريم
تفسير ابن كثير
« فى ظلال القرآن
« البيضاوى
« تفسير الخازن
قصص الأنبياء للثعالبى
القرطبى
البداية والنهاية لابن كثير
الترغيب والترهيب المنذرى
كتب الصحاح
كتاب الوفا بأحوال المصطفى الإمام ابن الجوزى
كتاب المرأة منذ النشأة بين التحريم والتكريم د . أحمد غنيم
كتاب إسلامنا الشيخ سيد سابق
كتاب فى العقائد والأديان للدكتور محمد جابر عبد العال الحسينى
كتاب الرسول للإمام الدكتور عبد الحليم محمود

كتاب محمد رسول الإسلام فى نظر فلاسفة الغرب : الأستاذ فهمى عبد الوهاب

كتاب فى خطى محمد : الأستاذ نصرى سلهب

سلسلة أبحاث جامعية رقم ١ إشراف الدكتور حامد طه . كلية دار العلوم .

أهم المصادر المسيحية

العهد الجديد

العهد القديم

Christs Pegan Robertson

جريدة التيمس العدد الصادر فى ١٠ أغسطس

تصويب الخطأ

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٧	١٠	أخلافيات	أخلاقيات
	الهامش	سورة النساء صـ ١٦٥	سورة النساء آية ١٦٥
٩	الهامش	(١) آل عمران صـ ٦٤	سورة آل عمران آية ٦٤
	الهامش	(٢) المائدة صـ ٨	سورة المائدة : آية ٨
	الهامش	(٣) البقرة صـ ١٣٦	سورة البقرة آية ١٣٦
١٧	٧	يرسالته	برسالته
١٩	٦	رعاييه	رباعيته
٢١	٤	فبل	قبل
٢١	الهامش	(٦) سورة الكهف : ١٠٠	سورة الكهف ١١٠
٢٤	الهامش	البقرة صـ ٢٦	سورة البقرة : ٢٦٠
٣٨	الهامش	سورة صـ ٦١	سورة النور آية ٦١
٤٣	الهامش	الإسراء النور صـ ٧٠	الإسراء آية ٧٠
٤٤	الهامش	النور صـ ٥٥	النور آية ٥٥
٤٨	الهامش	النساء : ١٢٩	النساء : ٢٩
٤٩	٧	أحبا	أحيا
٦٢	٢	تحفيظ	تحفظ
٦٩	٤	ليتبق	لتبقى
٧٨	٥	مهالة	بجهالة
٨١	الهامش	سورة الزمر : ٦	سورة الزمر : ٦١
٨٤	٨	ويذيقه	ونذيقه

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٨٨	الهامش	سورة طه ١١	سورة طه ١١٠
١١٦	١	المسيح القرآن	المسيح فى القرآن
١١٧	الأخير	وإذ	إذ
١١٨	الهامش	(٤) سورة المائدة : ٧٣	سورة آل عمران : ٤٢
١٥٥	الهامش	(١) سورة المائدة : ٨٨	سورة البقرة : ١٦٨
		(٢) سورة البقرة : ٢٢٤	سورة المائدة : ٨٨
		(٣) سورة البقرة : ١٨٧	سورة البقرة : ٢٢٣
		(٤) سورة الروم : ٢١	سورة البقرة : ١٨٧
		(٥) سورة البقرة : ١٦٨	سورة الروم : ٢١
١٥٨	١٢	وماينطق عن عن الهوى	وماينطق عن الهوى
١٦٨	الهامش	سورة آل عمران : ١٢٦	سورة آل عمران ١٣٥-١٣٦

ملحوظة :

فى بعض النسخ يوجد (ص) أمام السور القرآنية

(وصحتها آية)

محتويات الكتاب

صدر للمؤلف

١ ـ الأديان فى كفة الميزان
٢ ـ سر إيمانى
٣ ـ سر إسلامى
٤ ـ فى رحاب الرسول ﷺ
٥ ـ اليهود من الكتب المقدسة
٦ ـ النبي لا كذب
٧ ـ دليل العابدين

بإذن الله . الكتاب القادم

(مسيحيو الشرق والغرب)

(يشهدون أن)

(محمداً رسول الله)

مع تحيات الناشر والمؤلف

دار الكتب

رقم الايداع ١٩٨٤/٣٧٩١

هذا الكتاب

حوار صادق بين مسيحى ذكى فطن ومسلم مستنير بنور الإسلام تحرى فيه المؤلف الحقائق العلمية مصادرها الكتاب والسنة فى الإسلام والمصادر المسيحية التى يؤمن بها المسيحيون . وهو عرض صادق للإسلام والمسيحية . دون تعصب أو افتراء . بل دليل على صفاء ونقاء الأديان السماوية كما بعث الله بها رسله .

الناشر
دار الرسالة
للطباعة والنشر والتوزيع

١٥٠ قرشا